
عادات وتقاليد
الزواج وأغانيه
في يافع
د. علي صالح الخلاقي
٣٩٢٫٥
خ ٧٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء 531 / 2006

الطبعة الأولى 1427هـ الموافق 2006م

التنفيذ الطباعي

مركز عبادي للدراسات والنشر

ص. ب : 662 - صنعاء

ت: 219618 / فاكس: 219619

الجمهورية اليمنية

كلمة لا بد منها

للشيخ الفاضل عمر قاسم العيسائي الفضل بعد الله تعالى في ظهور هذا العمل، لسببين رئيسيين، الأول: أنه كان صاحب اليد السخية في دعم كلية التربية- يافع، جامعة عدن، عند تأسيسها عام ١٩٩٨م، وبميلاد هذا الصرح العلمي وصل التعليم الجامعي لأول مرة إلى منطقة يافع بمختلف مديرياتها، ولن ينسى له هذا الصنيع ما بقيت الأجيال تتخرج من هذه المنارة العلمية. وأعترف أنه لولا عملي في هذه الكلية، منذ تأسيسها وإلى اليوم، لما أتيحت لي فرصة جمع وتدوين نفائس وكنوز من الموروث الشعبي اليافعي، أعكف على تجهيز الكثير منها للنشر. والسبب الثاني أنه لولا دعمه السخي لما تيسر لهذا العمل أن يرى النور، وقبله أيضاً كتاب "الشائع من أمثال يافع" الذي لقي قبولاً حسناً بدليل نفاد طبعته الأولى، وأتمنى أن يصدر قريباً في طبعة منقحة ومزيدة. ولهذا أصر قلمي أن أسجل هنا أسمى آيات التقدير والشكر لهذا الشيخ الفاضل، وبالمثل أسدي جزيل الشكر للصديق العزيز الأستاذ محمد بن محمد علي الرشيدي لعنايته ورعايته لهذه الإصدارات مدفوعاً بموقفه الواعي لأهمية جمع وتدوين ونشر نفائس تراثنا الشعبي.

د. علي صالح الخلاقي

مُقدِّمة

يرجع الاهتمام بدراسة عادات وتقاليد الزواج وغيرها من العادات الاجتماعية، للحرص على رصد ملامحها وتوثيق خصائصها وسماتها في مجتمعنا المتغير، خشية اندثارها نهائياً، خاصة وأنها تتلاشى تدريجياً أمام أعيننا وكثير منها قد اختفى بفعل المتغيرات الحضارية التي تجرف من طريقها مثل هذه العادات والتقاليد.

ولا يمكن لكتاب واحد أن يشتمل على رصد وتدوين لكامل العادات والتقاليد والتعابير والأمثال التي سادت في منطقة يافع الغنية بموروثها الفلكلوري الغني، ولهذا رأيت أن أتناول موضوعات محددة بعينها من دوحة التراث الشعبي بغية تعميم الفائدة وتدوين أكبر قدر مما أمكن جمعه من صنوف وألوان هذا التراث. وعلى هذا الطريق بدأت بجمع وشرح أمثال يافع في كتاب أسميته (الشائع من أمثال يافع) صدرت طبعته الأولى عن دار جامعة عدن عام ٢٠٠٠م. وأحاول في هذا الكتاب تقديم وتعريف وشرح عادات وتقاليد الزواج وإبراز مضامينها الجمالية والاجتماعية، خاصة وأنها مهددة بالاندثار، حتى تكون في متناول الأجيال والمهتمين من الباحثين في دراسة فنون التراث الشعبي والعادات والتقاليد باعتبارها مصدراً للتعرف على خصائص ومميزات المجتمع وتعكس مضمون ثقافة وسلوك وتصرف الأفراد والمجتمع بشكل عام، في مرحلة تاريخية طويلة موغلة في القدم وحتى عام الاستقلال الوطني ١٩٦٧م. علماً أن كثير من هذه العادات والتقاليد قد ظلت سائدة حتى تحقيق الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م. وفي السنوات اللاحقة بدأت تتلاشى وتختفي تدريجياً في كثير من مناطق يافع، ولم يتبق منها إلاّ النزر اليسير في بعض القرى

المنعزلة في بطون الجبال. لهذا رأيت من الواجب الاهتمام بتدوين ما تبقى من هذا التراث.

وقد أتاح لي عملي كمحاضر في كلية التربية- يافع، جامعة عدن، أن أجمع حصيلة وافرة في مختلف فنون الأدب والتراث الشعبي، بمساعدة زملائي المدرسين وأبنائي من الطلاب وكثير من المهتمين في جمع التراث من مختلف مناطق يافع. فإليهم جميعاً أتقدم بجزيل شكري وخالص إمتناني وأخص منهم بالذكر الأخوين صالح علي محمد الحاتمي الكلدي وصالح عبدالقادر البكري اللذين كانا مثالاً للمهتمين في هذا المجال.

وختاماً أقول أن هذا الكتاب لم يلم إلماماً كافياً بأشتات وتفاصيل عادات وتقاليد الزواج وأغانيه في كل قرية وبلدة من مناطق يافع ذات المساحة الجغرافية الشاسعة. لكنني أجزم أنه يقدم صورة عامة قريبة لما كان سائداً من هذه العادات والتقاليد. وأعترف أن هناك ملاحظات أو إضافات قد تبرز لدى البعض بعد قراءة الكتاب وسأكون ممتناً أن أحصل عليها للاستفادة منها عند أية طبعة قادمة.

د.علي صالح الخلاقي
نائب عميد كلية التربية – يافع
جامعة عدن

الفصل الأول
لمحة تاريخية عن يافع

تسمية يافع

استناداً إلى بعض النقوش القديمة فأن يافع قبل أن تُعرف باسمها الحالي كانت تُسمى"دهس" أو "دهسم". وأقدم ذكر لأراضي يافع جاء في نقش النصر (RES.٣٩٤٥)، الذي سجله المكرب السبئي "كرب إل وتر بن ذمار علي" في (القرن السابع قبل الميلاد)، حيث أطلق عليها أسم (د. هـ. س. م). وتكونت في هذه المنطقة وما جاورها من السهول والأودية قبائل حمير الشهيرة التي انطلقت فيما بعد لتكوين دولة حمير التي بسطت نفوذها الى كل أرجاء اليمن ومناطق أخرى خارجها. وأصبحت هذه المنطقة فيما بعد تُسمى "سرو حمير" أي المرتفع من حمير. وقد عُرفت يافع بـ"سرو حِمْيَرْ" في ايام الهمداني، ولا زال أهل يافع يرجعون نسبهم إلى حمير[١]. ويورد لسان اليمن المؤرخ الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني نسب يافع إلى يافع بن قاول بن زيد بن ناعته بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذو رعين الأكبر[٢]. وفي كتابه "صفة جزيرة العرب" يحدد الهمداني[٣] أرض حِمْيَر وأوديته بـ"العر وثمر وحبه وعله وحطيب

---

(١) د. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام. ج٢. ص ٢٨٩.
(٢) الهمداني: الإكليل. تحقيق محمد بن علي الأكوع. منشورات المدينة. بيروت. ج ٢، ص ٢٨٩ وما بعدها.
(٣) انظر كتابه: صفة جزيرة العرب. مكتبة الإرشاد. صنعاء. ص ١٧٢.

ويهر وذو ناخب وذو ثاوب وشعب وعر ميحـان وسـلب والعرقـة ومدورة والمجزعة وتيم.. وكل هذه المواضع وديان وقرى ومسـاكن ليافع". ومعظم هذه الأماكن ما زالت تحمل الأسماء نفسها إلى اليوم.

الموقع الجغرافي(1)

تقع يافع في جنوب اليمن(شمال شرق عدن) بين خطي طول ٤٥-٤٦ وخطي عرض ١٣-١٤ يحدها من الجنوب ساحل البحر ومن الشمال البيضاء ومن الشرق لودر(مكيراس) ومن الغرب الضالع وحالمين وبشكل عام تمثل الجهة الغربية لمحافظة أبين والجهة الشمالية الشرقية لمحافظة لحج. وجغرافية منطقة يافع في معظمها شديدة الوعورة والتضرس، وتشكل تقريباً نموذجا مصغراً لسطح اليمن العام، فهي تنقسم -كما هو حال اليمن- إلى ثلاثة أقسام طبيعية مختلفة هي:

أولاً- منطقة الهضبة: وهي عبارة عن لسان تأتي امتداداً لهضبة اليمن من جهة البيضاء وتقع في إطارها كل من مناطق الحد، الضبي، ولبعوس والموسطة وتنتهي في منطقة المفلـحي حيث يختفي السطح المستوي، وتظهر الجبال الحادة، خصوصا باتجـاه مـشألة. ورغـم صغر مساحة منطقة الهضبة نسبيا إلا أنها تحتوي على أهم المواقـع والقرى الكبيرة في يافع، كما أنها تمثل أكثر المواقع ارتفاعاً في يافع ومنها جبل ثمر الذي يصل ارتفاعه إلى حوالي ٦٩٠٠ قدم عن سطح البحر، ويتميز مناخ تلك المنطقة بالبرودة شتاءً وبالاعتـدال صـيفاً وبانخفاض معدل المطر السنوي مقارنة بالمنطقة التالية.

(١) انظر: موقع كلية التربية – يافع، على شبكة الإنترنت(بتصرف).

ثانياً-المنطقة الجبلية الوسطى: وهي تلي منطقة الهضبة، وتقل ارتفاعاتها كلما اتجهنا جنوباً، وتمتد إلى محـاذاة السـاحل. وتتميـز بسطح جغرافي شديد الانحدار والوعورة وتتخلل جبالها الكثيرة العديد من الوديان الضيقة ومنها وادي حطيب، وادي يهر، وادي ذي ناخب، وادي حمومة، وادي سلب، وادي حطاط وغيرها. وهـذه المنطقـة تستقبل معدلات أمطار سنوية بشكل أفضل، وتحتوي وديانهـا علـى العديد من الينابيع والغيول الموسمية أو الدائمة لكن بحكم طبيعتها فإن المساحات الزراعية فيها محدودة فهي أما عبـارة عـن مـدرجات صغيرة على جوانب بعض الجبال أو عبارة عن مساحات ضيقة فـي جوانب الوديان، ويزرع في اطارها البن والحبوب والقـات وغيـره ويتركز النشاط والكثافة السكانية فيها في نطاق المنـاطق المرتفعـة المجاورة لمنطقة الهضبة وعلى امتداد الحد المائي الفاصل بين المياه التي تتجه غرباً باتجاه وادي يهر ووطن والتي تتجه شـرقاً باتجـاه سباح وسلب نظراً لكثرة امطارها من ناحية ولاتساع مساحة مناطقها النسبية من الناحية الثانية مثل رصد والسعدي وسرار.

ثالثاً – المنطقة الساحلية: وهي أصغر المناطق الثلاث مساحة وتقع في ساحل أبين في المنطقة الممتدة بين مصب وادي بنا وساحل البحر وتتميز بسعة الأراضي الزراعية وبخصوبة تربتها وأهم مدنها جعار والحصن.

لمحة تاريخية

المعتقد أن قبائل يافع هي إحدى قبائل أو أيدي سبأ التي تفرقت واستوطنت مناطقها الحالية بعد تخريب سد مأرب[١]. وتدل الآثار التي تم العثور عليها في يافع على أنها عرفت النشاط الانساني والحضاري في وقت مبكر من تاريخ اليمن القديم، ويرى جواد علي المختص في تاريخ العرب قبل الإسلام أن يافع تشكل المسكن القديم للحميريين، وذلك قبل نزوحهم منها إلى مواطنهم الجديدة قبل القرن الأول قبل الميلاد. كما أن نقوش منطقة الحد في يافع قد أشارت إلى الحروب التي خاضتها قبائل ذو ريدان الحميرية ضد ملوك سبأ عند بداية العهد الحميري القوي في اليمن، الذي أسفر عن قيام كيان سياسي مركزي في اليمن لأول مرة في تاريخه بل وتجاوز نفوذ ذلك الكيان الحميري إلى أن بلغ نجد والحجاز في وسط الجزيرة العربية. وقبيلة يافع كما يصفها المؤرخ والمحقق محمد بن علي الأكوع[٢]:" قبيل ضخم مرهوب الجانب، شديد الشكيمة ذو إباء وشمم وعروبة يعربية. وهم دائماً لَقَاحٌ[٣]، لا يدينون لسلطان. وإقليمهم فسيح ومخلاف واسع ولا ناقلة[٤] فيهم.

وقبيلة يافع ممن هبّت لنداء الإسلام وكانت في طليعة جيش المسلمين الفاتح لمصر، وكان على ميسرته مبرح بن شهاب اليافعي الرعيني الصحابي وحسان بن زياد اليافعي، واجتازوا نهر النيل إلى الضفة الغربية فركزوا العلم فيها. ومن ذلك اليوم سميت تلك المنطقة

(١) حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية. دار الكلمة. صنعاء. ص ١٦٩.
(٢) انظر تحقيقه لكتاب الإكليل للهمداني، ج٢، ص ٢٩٨.
(٣) قومٌ لَقاح وحَيٌّ لَقاح لم يدينوا للملوك ولم يُملَكوا ولم يُصِبهم سِباءٌ (انظر: لسان العرب لابن منظور، كلمة لقح).
(٤) ناقلة: قبيلة تنتقل إلى أخرى.

(الجيزة). وكان عمر بن الخطاب أمر عمرو بن العاص قائد الجيش أن يضرب سوراً على المسلمين كي لا يتجاوزا البحر. وكاد ينفذ عمرو بن العاص. فمنع اليافعيون ومن معهم من القبائل العربية وقالوا: دعنا يا عمرو فأن أسوارنا صدورنا".

في ظل الدولة الاسلامية الموحدة قسمت اليمن إلى ثلاثة أقسام إدارية "مخاليف" وكانت يافع تنتمي إلى أكبر تلك المخاليف وهو مخلاف الجند الذي يضم تهامة وعدن وأبين أيضاً.

وفي الفترة التي ضعفت فيها دولة الخلافة الإسلامية وشهد فيها اليمن ظهور عدد من الدول المستقلة لعبت يافع دوراً سياسياً مهماً في معظم تلك الدول ومنها دولة علي بن الفضل والدولة الرسولية والدولة الطاهرية. وبحكم طبيعة منطقة يافع الجبلية من جهة وشحة مواردها من جهة أخرى فقد قاومت الدول الكبيرة التي حاولت أن تسيطر عليها وتجمع الضرائب منها، فلم يستطع العثمانيون إخضاعها رغم إمكاناتهم الكبيرة فبعد أربع سنوات من القتال أجبر العثمانيون على مغادرة حصن (الخلقة) في منطقة الحد – يافع الذي حاولوا منه بسط سلطتهم على المنطقة. ولم تتمكن الدولة القاسمية التي خلفت الحكم العثماني في اليمن أن تمد سيطرتها على المنطقة إلاّ لفترة زمنية محدودة حيث قاومتها القبائل في عدة مواجهات شرسة داخل المنطقة وخارجها أسفرت عن تراجع سلطة الدولة من يافع والمناطق المجاورة لها.

إن تطور النظام القبلي قد أفضى قبل ذلك إلى بروز السلطنة كقمة هرم للنظام القبلي التقليدي. ففي سنة ٩٤٢هـ ظهرت السلطنة العفيفية نسبة إلى مؤسسها محمد عبدالله بن اسعد الملقب "عفيف

الدين" وبسطت سيادتها على الجزء المسمى " يافع بني قاصد" وحاضرتها "القارة". وسلطنة آل هرهرة التي ظهرت بعد قرابة نصف قرن على نشوء الأولى وتحديداً سنة ٩٩٠هـ في الجزء المسمى "يافع بني مالك" وعاصمتها "المَحْجَبَةْ". وبرزت هاتان السلطنتان في يافع على حساب مقاومتهما لجيوش الأئمة القاسميين. وانضوت تحت لواء كل سلطنة خمسة أقسام قبلية عسكرية – إدارية عرفت باسم "المكاتب".. وكان طابع نظام العلاقات المتبادلة بين الحكام (السلاطين، الشيوخ، العقال) وبين القبائل تقليدياً، حافظ على بعض عناصر الشورى– القبيلة، وسيادة مبادئ التبعية الطوعية. وكانت القبائل تدفع للسلطان أو الشيخ الذي تخضع له، جزءاً من المحصول عبارة عن العشر (العَشِيْر) أو ما يعرف بـ (المغرم).

والمكاتب التابعة ليافع السفلى هي: كلد – يهر – الناخبي – السعدي – اليزيدي. والمكاتب التابعة ليافع العليا هي: البعسي – الموسطة – الضُبي – الحضرمي – المفلحي. وكان دور السلطنتين القبلي والسياسي خارج المنطقة قد تراجع في فترة الاحتلال البريطاني الذي تحكم في معظم الأمور. أما سلطنة آل هرهرة فقد تراجع دورها حتى داخل المنطقة وفقدت شرعية تمثيل يافع العليا. واضطرت بريطانيا إلى إبرام اتفاقيات الحماية والاستشارة بصورة منفردة مع معظم مشايخ المكاتب في يافع العليا.

في الوقت الحاضر تتوزع مناطق يافع بين محافظتي لحج وأبين، منها أربع مديريات في محافظة لحج هي: لبعوس، المفلحي، يهر، الحد. وأربع مديريات في إطار محافظة أبين هي: جعار، رصد، سرار، سباح.

بنية المجتمع القبلي الاقتصادية ـ الاجتماعية

كان المجتمع القبلي في يافع يمثل وحدة اجتماعية واقتصادية متجانسة نسبياً، ولم يتعرض النظام الاجتماعي– الاقتصادي والسياسي ليافع على امتداد التاريخ الحديث والمعاصر، حتى عشية الاستقلال عام ١٩٦٧م إلاَّ لتغييرات قليلة وحافظ على كثير من خصائصه التي تميز بها. وكان نمط الحياة السائد بسيطاً ويعتمد الناس على ما تجود به الطبيعة من محاصيل زراعية ومنتوجات الحيوانات. وقد كانت الصفة الغالبة على السكان في تلك الفترة هي السمة الفلاحية الرعوية، فقد كان معظم السكان يمارسون الزراعة بدرجة رئيسية ويعتمدون عليها، ورغم قلة المساحات الصالحة للزراعة نظراً لطبيعة المنطقة الجبلية واعتمادها على مياه الأمطار الموسمية، خاصة في فصلي الصيف والخريف، إلاَّ أن اليافعيين استطاعوا أن يكيفوا الطبيعة القاسية لصالحهم من خلال ابتكارهم لمنظومة المدرجات الزراعية في بطون الجبال ووضعهم لحوائط من الأحجار حسب الارتفاعات المطلوبة لتجميع التربة ومنعها من الانجراف مهما كانت كمياتها قليلة، فليس أثمن منها لندرتها، ولقلة مصادر المياه حفروا الآبار وشيدوا الخزانات (الماجل، الكريف، السقاية) لحفظ المياه وأقاموا الحواجز، ونظموا أقنية وسواقي لري المساحات القليلة، وبذلوا جهدهم لاستثمار القطع المتوفرة. واستخدموا في الزراعة، كما في الحياة عامة، الوسائل البدائية البدوية أو باستخدام الحيوانات، وحتى في الوقت الراهن فأن زراعة الأرض لازالت تتم بصورة رئيسية بواسطة المحراث الذي يجره ثوران أو جمل أو زوج من الحمير، هذا في المساحات الزراعية الواسعة نسبياً في هضبة الحد أو ما شابهها في بعض الأودية الرئيسية، أما في المدرجات الزراعية المنتشرة في بطون وتعرجات السلاسل الجبلية الكثيرة، التي شبهها

الرئيس سالم ربيع علي (سالمين) عند زيارته للمنطقة مطلع سبعينات القرن الماضي بـ(كراسي السينيماء) فأن الاعتماد في زراعتها كان ولا يزال حتى اليوم على العمل اليدوي وبوسائل محلية الصنع أهمها (الخنزرة) وهي آلة حديدية معقوفة من الأمام ولها طرف حاد يغرس في الأرض لتقليب التربية ومقبض خشبي في نهايتها. وكرَّس اليافعيون تجارب غنية في العمل الزراعي ومعرفة المواسم الزراعية وفقاً لمواضع النجوم، وهم يحسبونها بدقة، ونوعية الزراعة في كل موسم، كما استخدموا السماد الطبيعي (الدَّمان) واستخدموا الحيوانات لنزع الماء من الآبار لسقي المزروعات. وأهم المزروعات هي: الذرة بأنواعها، الدخن، البُن، الورس، الشعير، البر، السمسم (الجلجل) والترتر (للحاجة) والبقوليات مثل الكراث، البصل، الثوم وغيرها. وكانت الحبوب المصدر الرئيسي في التغذية، ولحفظ الحبوب فترة أطول، وتكديسها من سنوات الرخاء إلى سنوات الشدة حفر اليافعيون مخازن للحبوب تسمى (مدافن) في صميم الجبال الصخرية لا يدخلها المطر، ولا تزال معالم مدافن الحبوب منتشرة في بطون الجبال ووسط التجمعات السكانية. وتتركز الزراعة في منطقة الحد، كلد، وفي الأودية الرئيسية، يهر، حطيب، ذي ناخب، وادي حمومة وغيرها من الأودية الضيقة المنتشرة بين السلاسل الجبلية الكثيرة، وفي منطقة الساحل (يافع الساحل) حيث المزارع الواسعة.

لقد ساد النمط التقليدي (الأبوي) في الاقتصاد، وكان النظام الاقتصادي غير خاضع للتأثيرات الخارجية، إلاَّ فيما ندر، وكان يتجه إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتوجات الزراعية والمنتجات الأخرى وكان التداول النقدي نادراً وساد نظام المقايضة البضائعية. كما انتشر التعاون الجماعي في الأعمال الزراعية، خاصة في مواسم الحصاد

وجمع المحصول والأعلاف وغيرها كما في ظروف بناء المنازل والمساجد وغيرها من المنشآت ذات النفع العام.

والأراضي في مختلف مناطق يافع ملكية خاصة مع مساقيها، وكانت المصدر الرئيسي للعيش، بل هي الانتماء فمن لا ملكية له كأنه مقطوع الصلة. وكان أصحاب الأرض يلجأون أحياناً إلى:

١- البيع، وهو أمر نادر جداً.

٢- الرهن.

٣- إعطاء الأرض من قبل المالك لشخص آخر على أساس الشراكة (المناصفة) في اقتسام المحصول وهو ما عُرف بـ(الشرك).

كما اعتمد اليافعيون على الماشية، وعمل جزء منهم في تربية الماشية، خاصة الأغنام ثم الأبقار وكذلك الجمال، وكان يستفاد من لحومها وجلودها وصوفها في تلبية حاجيات السكان. كما استخدمت الحمير والجمال كوسيلة رئيسية للنقل وفي حراثة الأرض، وكانت ترتبط حياة اليافعيين ومواشيهم بالمطر، ويترقبون "الغيث" ليحيي الأرض، خاصة عندما تطول سنوات الجفاف. وكانت المراعي عامة وخاصة، فحدود القبيلة هي مرعى عام للجميع، أما ما يعرف بالمحاجر فهي خاصة، وكانت تنشب بسبب الرعي والاحتطاب ومصادر المياه المنازعات والفتن.

كان رجال القبائل وهم المزارعون يشكلون غالبية السكان ويرتبطون ببعضهم بعلاقات إنتاجية واجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية متقاربة وينظرون إلى أنفسهم كأبناء الأصول. كما وجدت فئة "السادة" الذين لا ينتمون إلى أي قبيلة ولهم مكانتهم كممثلين

للسلطة الروحية. وإلى جانب اشتغال الناس في الزراعة وتربية الماشية أو العمل في المهجر أو أعمال البناء والتي كانت تقريباً حكراً على البنائين المشهورين من (آل بن صلاح)، كانت توجد كذلك فئات اجتماعية لا تمارس الزراعة والرعي، لكنها تقوم بالحرف الأخرى، ومنهم الحدادون والنجارون وصانعو الفخار (قشّاي- قشائين) والحائكون والخرازون والشِّحذ (المزين) وغيرهم، وكثير ممن ينتمون إلى هذه الفئات لا يملكون في الغالب أرضاً، لذلك يعملون في خدمة رجال القبيلة (المزارعين أساساً) ولهم نصيبهم التي تشرعه الأعراف من المحاصيل وحتى الأعلاف.. الخ.

كان النظام الاجتماعي السائد في يافع قبلياً وكانت العلاقات الاجتماعية تقوم على أساس رابطة الدم وقرابة النسب وينقسم الأفراد إلى وحدات متعددة عرفت كل منها باسم القبيلة وكل منها تتألف من فخائذ وعصيب وبيوت وتتوقف قوتها على عدد أفرادها ومن هنا كانوا يتفاخرون بكثرة الإنجاب، خاصة للذكور الذين سيشتد بهم ساعد القبيلة كقوة عاملة ومحاربة، وكانت هذه القبائل تشكل وحدات مستقلة، لها حدودها ومصالحها، ثم تطورت هذه العلاقة بنشوء السلطنات ونظام المكاتب. ولم يكن التمايز الاجتماعي كبيراً، بل يمكن الحديث عن مراتب اجتماعية وليس طبقية لضعف التخصص في تقسيم العمل في النشاط الاقتصادي ولأن ظروف الناس عامة كانت واحدة وبسبب القسوة الاقتصادية لا يملكون الكثير من سبل العيش والملبس ويعيشون حياة الكفاف، بل والفقر أثناء الجائحات والأمراض وكانوا يسترون جزءاً من أجسادهم، خاصة الرجال، وكان من عاداتهم الفريدة أنهم يدهنون بشرة وجوههم وجسدهم بأصباغ طبيعية زاهية تسمى (النيلة) ليس فقط للزينة وإنما للحفاظ على بشرة الوجه من التأثير غير العادي

للهواء الجبلي الجاف، وبالمثل تفعل النساء بصبغ الوجه بمسحوق الهرد والعصفر والورس وغير ذلك من مواد التجميل.

وتجلت خصوصية المجتمع القبلي في ضعف تأثير السلطة المركزية للسلطنتين (يافع العليا، يافع السفلى) وشيوع الفتن والحروب القبلية والجهل وسيطرت العادات والأعراف، كل هذه العوامل، إلى جانب محدودية الأراضي الزراعية، والتفتت الطبيعي لقطع الأرض الزراعية وصعوبة الظروف المناخية والعزلة الجغرافية، وفيض السكان، كل ذلك سبّب ركود التطور الاجتماعي- الاقتصادي والسياسي للمنطقة، وإلى هجرة جزء لا يستهان به من السكان "غالبيتهم الساحقة من الرجال" إلى المناطق الأخرى في جنوب اليمن وإلى الدول الأخرى للعمل وضمان مقومات العيش الضرورية لأسرهم. وفي ظروف المجتمع القبلي والخصومات والفتن كان يتم أنفاق المدخرات التي جمعها اليافعيون في المهجر، بما يتوافق والتقاليد القديمة وبسبب الفتن والنزاعات القبلية التي تستمر أحياناً لعشرات السنين، حيث يشيدون البيوت الحجرية الفخمة التي يرتفع بعضها إلى ستة وسبعة أدوار، ويطلقون عليها اسم "الحصون" وهي حصون منيعة فعلاً حيث كانوا يفضلون تشييدها في الأماكن المرتفعة، ومن كان بيته في الأعلى كان يشعر بامان كبير ويمتلك أفضلية تجاه جاره الأسفل فيما اذا نشأ بينهما خلاف أو نزاع. وفي الأماكن المرتفعة جداً بنيت بيوت السلاطين كما هو الحال في (القارة) عاصمة السلطنة العفيفية. أو (المَحْجَبَة) و(حِلْيَن) بالنسبة لسلاطين (آل هرهرة). وكانت تشيد لحراسة القرى والأراضي الزراعية أبراج أسطوانية الشكل تسمى "نوبة"أو "صومعة" ولا زالت آثارها باقية. كما كان اليافعيون ينفقون أموالهم أيضاً بسخاء في اقتناء السلاح والذخائر والتباهي بامتلاك أحدثها وقتئذ، للحاجة إليها في ظروف الفتن والحروب القبلية.

الأسرة ومكانة المرأة في المجتمع اليافعي

الأسرة هي نواة المجتمع وأساس القبيلة، والعائلة اليافعية تشبه العائلة العربية التقليدية، فهي كبيرة الحجم وتسكن في بيت واحد، وكان النمط السائد هو نموذج الأسرة الكبيرة القائمة على أساس النظام الأبوي، حيث السلطة المطلقة للأب وطاعته ملزمة للجميع ولأوامره قوة القانون ويتحمل كافة المسئوليات الاقتصادية ورعاية ممتلكات العائلة وله حرية التصرف بها. وتضم الأسرة الأبوية الزوج والزوجة والأبناء وزوجاتهم وأطفالهم، وقد تضم الأسرة أخوات الزوج غير المتزوجات أو المطلقات، وكان أفراد الأسرة يتكاثرون نتيجة لزواج الأبناء والأحفاد ويتراكمون في غرف البيوت وتظل الأبواب مفتوحة لكثرة أفراد الأسرة، وقد تزداد سعة البيت بإضافة بناية أو غرف ملحقة، حسب الوضع الاقتصادي. ولا يغادر الأبناء الأسرة الكبيرة عندما يتزوجون إلاّ برضا الأب أو بعد وفاته. وللأب سيطرة تامة على أزواجه وأولاده وأحفاده. ويطيعه الجميع، بما في ذلك بناته المتزوجات، ولكن ليس من حقه السيطرة على أحفاده من ابنته الذين ينتسبون إلى عشيرة أبيهم، وهو الذي يدير أمور عائلته ويحسم المنازعات ويتخذ القرارات التي يراها بنفسه أو بعد التشاور مع من يراهم من أفراد الأسرة. وفي حالة ضعف الأب لكهولته أو مرضه فقد يحيل صلاحياته في حياته إلى الابن الأكبر وهو من يخلفه في حالة وفاته حيث يقوم بدور رب الأسرة فيما إذا استمرت وحدة العائلة، أما إذا انفرط عقدها فتنقسم إلى عدة أسر حسب عدد الأبناء.

لقد تميز كيان البيت اليافعي بالعصبية والقرابة ورابطة الدم والنسب وبكبر حجم العائلة وتقديس الحياة الزوجية وقلة الطلاق وكثرة الإنجاب وانعدام وسائل ضبط النسل أو منع الحمل. وتحترم الأسرة اليافعية وتجل

الطاعنين في السن من الجنسين وتحيطهم برعاية تامة، كما يحظى المعوقين والمقعدين لأسباب خلقية بعناية كبيرة من أفراد أسرهم ولا يجدون أنفسهم على قارعة الطريق يستجدون الإحسان من الغير.

وتتميز المرأة اليافعية بمحاسنها الطبيعية، بعيداً عن التصنع، وهي تخلص لزوجها وتداريه وتضحي من أجله، وترعى الأطفال وتقوم بكثير من الأعمال داخل البيت وخارجه.

وفي مختلف مناطق يافع وإلى ما قبل عام الاستقلال ١٩٦٧م، بل وإلى عشية الوحدة ١٩٩٠م، كانت المرأة اليافعية تتمتع بحرية كبيرة في منظومة المجتمع القبلي التقليدي، ولم تكن تعرف الحجاب قط، بل كانت تلبس ثوباً محتشماً يغطي جسمها من العنق إلى القدم وتلبس غطاء للرأس (قرقوش، مقرمة، شبكة) وكانت تشارك بفعالية في كثير من الأعمال والنشاطات الاقتصادية، فضلاً عن تحملها لوحدها لأعباء تدابير الحياة المنزلية. يقول صلاح البكري واصفاً مشاهداته عند زيارته ليافع في مطلع الخمسينات من القرن الماضي: "والنساء سافرات الوجوه والعفة أبرز صفة تحتفظ بها المرأة اليافعية وتعتز بها وهن يشاركن الرجال في فلاحة الأرض وريِّها وزراعتها وفي تربية المواشي والأغنام وقد يشاركنهم أيضاً في الحرب. والمرأة اليافعية تستقبل الضيوف حتى في غياب زوجها وتقدم لهم القهوة ولكن في منتهى ما يتصوره العقل من العفة والعزة وإجراءات الزواج عند اليافعيين مُبَسَّطَة إلى أقصى حدود البساطة.. والحَمَاة من أكبر الأسباب لتوطيد الروابط وتوثيق الصلات والعلاقات بين الزوجين وتعطف كل العطف على زوج ابنتها وهذا عكس ما نشاهده في مصر فإن الحموات هناك يتدخلن في كل شيء يتعلق بشئون أزواج بناتهن ومتى ينشأ

الخلاف بين الزوجين ذلك الخلاف الذي كثيراً ما يؤدي إلى الطـــلاق.

ويمتن عرو القرابة عند اليافعيين على ناحيتين:

النظام الأموي والنظام الأبوي مع أرجحية ناحية الأب علـــى ناحيـــة الأم. ووصلت الأسرة عندهم إلى أضيق نطاقها فأصـــبحت لا تـــشمل إلاَّ الزوج والزوجة وأولادهما ما داموا في كنف الأسرة، غير أنـــه لا يـــزال يوجد لديهم رواسب من النظم القديمة، فكل فرد ينتمي إلى أسرتين عامتين هما أسرة عمومته وأسرة خؤلته ويرتبط أفراد كلتيهما بطائفة كبيـــرة مـــن الروابط الاجتماعية وبكثير من الحقوق والواجبات وذلك إلى جانب انتمائه إلى أسرته الخاصة الضيقة التي تتألف من أبويه وأولادهما"[1].

وبنفس المعنى يقول الشيخ عبدالله بن احمد الناخبي: " فيما مضى كان المجتمع اليافعي متماسك ومتعاون، ولهم عادات، المرأة ســـافرة، ولكن العفة والحياء هما شعارها، يتزاورون ويتبـــادلون الآراء حـــول أمورهم الداخلية، وهم حريصون على حل مشاكلهم بأنفسهم، وتعتبـــر القرية وسكانها كأسرة واحدة، الصغير يوقر الكبيـــر والكبيـــر يـــرحم الصغير.. والمرأة اليافعية مثالية في عفتها وإخلاصها لزوجها وإعانته في شئون الحياة تقوم بتدبير المنزل وتربية الأطفال والعناية بالمواشـــي وتشارك زوجها في الحقل وتوفر له أسباب الراحة وتحافظ على مالـــه وإذا غاب تولت مسئولية البيت والمزارع وتعمل جادة لا تعرف الكسل ولا الملل"[2].

(١) صلاح البكري: في شرق اليمن – يافع. ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) الشيخ عبدالله أحمد الناخبي: رحلة إلى يافع أو يافع فـــي أدوار التـــاريخ. ط١. ١٩٩٠م. ص ٢١٥- ٢١٦.

الفصل الثاني
الزواج وكيفية الاختيار في يافع

الزواج سنة من سنن الله الحكيم ورابطة مشروعة بين الـــزوجين يحث عليها الإسلام، وهو نواة تكوين الأسرة الجديدة، وعـــن طريقـــه تتحقق أسمى العلاقات الاجتماعية بين الزوجين من جهة، وكـــذا بـــين محيط واسع من الأهل والأقرباء، ويخضع الزواج لنواميس وأعـــراف متفق عليها لدى مختلف الجماعات البشرية، تختلف من مجتمع لآخـــر وفقاً وخصوصية وثقافة وديانة المجتمع ومنظومته الاجتماعية. ومـــن حكم الزواج[1]:

١- الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل الناتج عن النكاح.

٢- حاجة كل من الزوجين إلى صاحبه، لتحصين فرجـــه بقـــضاء شهوة الجماع الفطرية.

٣- تعاون كل من الزوجين على تربية النسل والمحافظة على حياته.

٤- تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة، والاحترام والتقدير.

وكما وفي كل المجتمعات الإسلامية، فإن الإقدام على الزواج في اليمن عموماً وفي منطقة يافع خصوصاً مسالة حتمية للشباب الـــسوي والفتيات السويات، والعزوبية أو بقاء الرجل أو المـــرأة بـــدون زواج

(١) أنظر: أبوبكر جابر الجزائري: منهاج المسلم، دار الفكر، بيروت. ص ٣٧٢.

ظاهرة نادرة جداً، مع أن مثل هذه الحالات أن وجدت ليست محط استهجان أو استنكار، ويبقى بعض الرجال أو بعض النساء بدون زواج في حالات محددة فقط، مثل وجود عاهات بدنية تكون معها الحياة الزوجية مستحيلة، أو الجنون، أو انعدام الرغبة لدى الرجل أو المرأة في الزواج ثانية بعد وفاة الزوجة أو الزوج.

الاختيار

إن الإقدام على تزويج الفتى واختيار فتاة له مسألة يقررها الأبوان وأحياناً الأسرة بكاملها. ولا يتم اختيار العروس (الحريوة) للعريس (الحريو) دون أن يكون قد رآها، باستثناء الحالات التي يكون فيها في المهجر ويوكل لأهله الاختيار. وكان التعرف على الفتاة وأسرتها يتم بطرق متعددة حتى تتوفر القناعة التامة والرغبة الصادقة، تجنباً لاحتمالات حدوث مشاكل تعكر صفو الحياة الزوجية مستقبلاً. وكانت فرص التعرف كثيرة وظروف الاختيار متيسرة وسهلة، فلم تكن هناك حواجز أو قيود أو تعقيدات تحول دون حرية الاختيار. فخلافاً لما هو شائع في بعض المناطق اليمنية حيث لا يستطيع الفتى رؤية فتاة أحلامه وشريكة حياته المرتقبة إلاّ بعد الزواج، فإن الوضع في يافع كان مختلفاً تماماً، فالشباب يعرفون كل فتيات القرية، ومن الطبيعي أن يكون الشاب قد رأى وعرف من سيتزوجها جيداً، ذلك أن أفراد القرية يشكلون أسرة واحدة كبيرة أو بعض أسر متداخلة، وبحكم هذا التقارب فأنهم يعرفون بعضهم جيداً، فقد يكون سكن أسرة الفتاة في المنزل المجاور لمسكن أسرة الشاب أو قد يعيشون في منزل واحد إن كانت ابنة عمه، ثم أن النساء هنا، بحكم الأعمال التي يؤدينها، يتحركن بحرية في مسارح مكشوفة وبدون قيود أو تكلف، سافرات الوجوه والعفاف والحشمة من مزاياهن المتوارثة، ولم يعرفن الحجاب إلى ما

قبل عقد ونيف، بل أن بعض النساء في القرى النائية في بطون الجبال والأودية البعيدة عن مراكز المديريات لا يعرفن الحجاب بعد. ولذلك فإن اختيار الفتاة ليس صعباً، طالما أن الجميع نساء ورجالاً، صغاراً وكباراً يعرفون بعضهم البعض معرفة تامة، فهم ليسوا بحاجة إلى البحث والتقصي والتمهيد عند اختيار العروس أو (العس) المتبع مثلاً في بعض مناطق حضرموت لأن تعارف الخطيب بخطيبته هناك "يعد جرماً ولا يحصل التعارف إلاّ يوم الزفاف بالنسبة للخطيب ويوم القيضة (القضبة) أو (الزقرة) بالنسبة للخطيبة"[١].

ومن التقاليد التي كانت سائدة أن الفتاة غير المتزوجة تبقي رأسها ووجهها مكشوفاً ويظهر شعرها مرسلاً في جدائل أو ظفائر جميلة دون أن تغطيه بشيء وهو ما يميزها عن المتزوجة. كما أن موقعها في صفوف الألعاب النسائية يكون في الأطراف، ولا يجوز لها أن تتخذ موقعاً في الوسط بين المتزوجات، وهنا كان بمقدور العريس أو والده التعرف بسهولة على الفتيات غير المتزوجات وقد يقر الاختيار على واحدة من تلك الفتيات.

ولكن بما أن الفتيات في مناسبات الأعياد وأفراح الزواج يتزين ويلبسن أجمل الثياب، فقد جرت العادة أن يتم التعرف عليهن في غير هاتين المناسبتين عملاً بالمثل الشعبي القائل "لا تخطب بنات الزواجة ولا بنات العيد" لأن المرء قد يغتر بمنظر الفتاة وهي بكامل زينتها، لذلك يحث المأثور الشعبي على الاختيار في غير هاتين المناسبتين، خاصة حين تكون العروس من خارج الأسرة أو القرية، أي من القرى المجاورة، ففي مثل هذه الحالة لا بد من التحري والتدقيق والتأكد من الحسب والنسب

(١) زهرة سالم مرتع: العادات والتقاليد في هينن- حضرموت ط١. ٢٠٠٤م. مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء. ص ٢٩-٣٠.

والجمال وخلو الفتاة من الأمراض أو العاهات الجسدية، ولهذا تحاط مرحلة الاختيار بسرية تامة ولا يعرف بها إلاّ محيط ضيق من المعنيين من أهل العريس، وذلك عملاً بالمثل الشعبي القائل "لا أنت آتكْسِبْ تـشرَّق ولا أنت آتخطب تسَرَّق". وتَسَرَّق تعني أن تبحث خلسة وفي سرية تامة دون أن يحس أحد بمقصدك، على عكس "كِسْب الأرض" أي شرائها، إذ لا بد في هذه الحالة من إعلان الأمر ليعرف الجميع أن فلان يبيعك قطعة الأرض الفلانية (جربه، طين) لكي تعرف أنه ليس هناك مشاكل حولها مع أقرباء البائع ممن لهم حق الشفاعة فيها. أما البحث عن الخطيبة فلا يعرف أحد عنه إلاّ عند الاتفاق الذي تعهد مهمة إنجازه إلى وسيط يسمى (الذريع).

ومن الأمور الهامة عند الاختيار التركيز على الأصهار، لأن رابطة الزواج تجعلهم أقرب الناس إلى الأسرة، ونجد في الأمثال الشعبية تقديراً واضحاً لعلاقات المصاهرة، إذ يقول المثل "الصهير نُبْزَةْ مِنْ الذَّقن وإلاّ فَهُوْ الذّقن كُلّه" أو قولهم:"الصهارة طَوْلْ" أي أنها لا تنتهي بمجرد انتهاء مراسيم الزواج، وإنمّا تبدأ من تلك اللحظة وتتعزز وتدوم طويلاً.

وليس لعلاقات الحب أي دخل في اختيار الفتاة، كما أن الجمال لم يكن شرطاً رئيسياً، كما هو الحال اليوم، لأن المرأة اليافعية بشكل عام تمتلك قدراً من الجمال الطبيعي، ويبقى الأهم هو حسبها ونسبها وسمعة أسرتها، وكذا أخلاقها وقدرتها على أن تكون عنصراً نشطاً وفعالاً في الاقتصاد العائلي، أو كما يقال باللهجة اليافعية: "آتشل البيت والوادي" أي أن تكون قادرة على الجمع بين الأعمال المنزلية العديدة ومشاركة زوجها في الأعمال الزراعية. وكان يتم تحاشي الفتاة التي تُعرف عائلتها بالخلق السيئ أو بإثارة المشاكل والشجار لأتفه الأسباب.

وكانت الموافقة على الاختيار بيد الكبار. وعندما يختار الرجل عروساً لابنه فإنه يسأله عن رأيه فيها ولكن القرار النهائي يصدر عن الأب دائماً. ويحدث أن يصارح الابن والده، إن كان قد بلغ أو تجاوز سن النضج، عن رغبته بالزواج وقد يحدد البنت التي يريدها زوجة له، ولكن القرار النهائي بالموافقة من عدمها تظل بيد الأب، وليس بمقدور الشاب أن يقدم على خطوبة الفتاة التي اختارها دون رضا والديه وموافقتهم، ولن يرضى له أهلها بذلك لمعرفتهم أنه غير قادر على الإنفاق عليها وبناء أسرة مستقلة عن الأسرة الأبوية. وبالمثل كانت الفتاة لا تبدي أي اعترض على رغبة أهلها في أمر خطوبتها، لأنها تعرف أنه لا غنى لها عن أهلها، مادياً ومعنوياً، حتى بعد الزواج فيما إذا دخلت في مشاكل مع زوجها أو مع أهله أو في حالة ما إذا تخلى عنها فأنها تعود إليهم معززة مكرمة.

أما المرأة المطلقة أو الأرملة فيؤخذ برأيها وموافقتها شرط لا بد منه عند إقدامها على الزواج من جديد، ويكون مهرها أقل ومراسيم الزواج ومتطلباته تكون بسيطة على غير المعتاد عما هو الحال عند زواج الفتاة البكر.

في الوقت الراهن اختفت طرق الاختيار القديمة بسبب انتشار ظاهرة الحجاب في معظم المناطق، حتى بين البنات الصغار في سن العاشرة، ولأن الشاب لا يستطيع أن يرى الفتاة أو يقابلها فإنه يعهد بأمر الاختيار لقريباته من النساء، كالأم أو الأخت.

الذريع

هو الوسيط الذي يسهل إنجاح الخطوبة ويمهد لاتفاق أهل العروسين على الزواج وشروطه ومتطلباته، وهو شخص معروف لدى الطرفين، لكنه عادة يمثل جهة العريس لدى أهل العروس، ومهمته تقريب وجهات النظر عند الاختلاف وتبيين واجبات كل من الطرفين وفق العادات المتبعة التي يكون ضليعاً بها. وتبدأ مهمته عندما يستقر رأي أسرة الشاب على فتاة معينه يرونها مناسبة لابنهم، عندها يعهدون إلى (الذريع) بمهمة التواصل مع أسرة الفتاة فيقوم بمهمته كناطق باسم أسرة العريس أمام أهل العروس، معدداً خصال العريس التي ربما يكون أهل الفتاة على دراية بها لصلة القرابة أو المعرفة به عن قرب لأن الزواج في هذه الحالة في إطار الأسرة أو القرية الواحدة (أي زواج داخلي).

أما إذا كانت الفتاة التي وقع عليها الاختيار من خارج الأسرة أو القرية (أي زواج خارجي) فأن الذريع يقوم بمساعدة العريس (الحريو) في التعرف عليها من خلال ترتيب رؤيته لها، دون أن تشعر هي بذلك، في أي مكان بجانب بيت أهلها حيث يمكن رؤيتها مع نساء أخريات من الأهل والجيران أو في الطريق إلى البيت وهي تجلب الماء أو أثناء عودتها من الوادي..الخ، بحيث يتمكن الشاب من رؤيتها والتمعن في ملامحها ومحاسنها الخلقية، وإذا راقت له فأنه يبلغ الذريع برغبته في خطبتها، وعند ما يستكمل الذريع مهمة التقصي فيما إذا كانت البنت مخطوبة أم لا. ويتجه في هذه الحالة إلى والد الفتاة لإبلاغهم برغبة الأسرة الفلانية في مصاهرتهم بطلب يد ابنته لابنهم. وإذا كانت للذريع سابق معرفة أو صداقة مع والد الفتاة فأنه يصارحه

بمهمته مباشرة دون لف أو دوران. وإجمالاً فأن الذريع يقول للأب في مثل هذه الحالة: "بنتكم ماشاء الله هل هي مزقورة؟" (أي مخطوبة لأحد ما). ويكون رد الأب بنعم إن كان قد اتفق مع أحد على خطوبتها، أما إذا لم تكن مخطوبة بعد فقد يقول: "لا عادها غير مزقورة ولو شي نصيب أو مكتوب ما نرده". وفي هذه الحالة يصارحه الذريع بأن أهل فلان يريدون ابنتكم لأبنهم فلان. فإذا كان الأب موافقاً من حيث المبدأ فأنه يرحب بالوسيط قائلا له: "أهلاً وسهلاً، ما نسي فوق السمن إلاّ عسل". ثم يطلب والد الفتاة مهلة زمنية، لا تتجاوز الأسبوع، للتشاور مع أفراد أسرته لإعطاء الموافقة النهائية، ومثل هذا التشاور يكون شكلياً إذا كان الأب هو صاحب القرار الفعلي في الأسرة. وفي بعض الحالات قد يكون تأثير الأم مهماً في الموافقة وهو ما لا يغيب عن بال الذريع الذي يستغل مثل هذا التأثير فيوظفه لإنجاح مهمته من خلال إغواء الأم فتفلح هي حيث أخفق وتقنع الأب منتزعةً منه الموافقة الفورية أو خلال أيام قليلة.

أما إذا كان الأب غير راضٍ على زواج ابنته من ذلك الشاب، أو غير مرتاح للارتباط بعلاقة مصاهرة مع تلك الأسرة لأي سبب كان، فأنه لا يبدي الرفض مباشرة، وإنما يلمح تلميحاً غير مباشر، كأن يقول أن البنت لا تزال صغيرة، أو أنه لا يفكر في تزويجها بعد، أو أنه قد أعطى كلمة لشخص ما، أو يتشدد في بعض المطالب كالمهر المبالغ فيه.. الخ، وفي هذه الحالة يعود (الذريع) بخفي حنين إلى أهل العريس، وتتوقف فوراً المساعي التي تسير- حتى اللحظة- تحت السرية، وينتهي الأمر وكأن شيئاً لم يكن.

قيود الاختيار

هناك قيود محددة يفرضها المجتمع القبلي تقيد حرية الفرد في اختيار شريكة حياته، فالتقاليد السائدة لا تتيح له مثل هذا الاختيار إلاّ في إطار الطبقة أو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها أو المكافئة لطبقته وفئته الاجتماعية. ومن تلك القيود، مثلاً، لا يجوز التزاوج بين فئة القبائل والفئات الدونية الأخرى في نظر المجتمع كالخرازين أو الشحّاذ (المزينين في لهجة بعض المناطق اليمنية). بل أنه حتى في عهد نظام الحزب الاشتراكي اليمني في جنوب الوطن في الفترة من ١٩٦٧-١٩٩٠م وعلى الرغم من مساعيه لإقامة العدل والمساواة بين الطبقات والفئات الاجتماعية ومحو الفوارق بينها، إلاّ أن هذه القيود ظلت قائمة لأنها قد رُسّخت في العقل الجمعي ولا زالت تفعل فعلها إلى اليوم. فالقبيلي لا يقبل زواج ابنته من أسرة أقل منه درجة أو نسباً، ولهذا فأن النسب من أهم عناصر الكفاءة في الزواج. فذو النسب الوضيع ليس كفئاً لذات النسب الرفيع، وعلى هذا النحو فالشاحذ أو الخراز أو الحائك في العرف ليس كفؤاً لبنت القبيلي. ومن ينتمون إلى هذه الفئات يشعرون بهذه النظرة الدونية ولا يجوز لهم أن يتقدموا لطلب الزواج من غير وسطهم الاجتماعي. وهكذا ظل الاختيار ولا زال -حتى اليوم- في إطار الفئات المحددة كعرف متبع. وفضلاً عن الحسب والنسب تراعى كذلك مهارة الفتاة في تأدية الأعمال المنزلية وسمعة الأم والأسرة عموماً وكذا جمال الفتاة.

كان يحدث أيضاً أن يرفض أهل العروس طلب الشاب المتقدم لابنتهم لأسباب مقنعة، مثل عدم كفاءته والشك في قدرته على تحمل أعباء الأسرة الجديدة أو لسلوكه وأخلاقه السيئة أو لمشاكل عائلية، ولم

يكن الرفض مجاهرة، ولكن يتم اختلاق بعض المعاذير الواهية أو وضع شروط تعجيزية في مطالب الزواج أو المهر أو الادعاء أن الفتاة لا زالت صغيرة أو أنهم لا يرغبون في تزويجها بعد.. إلخ.

وكانت العادة تقضي أن يتم تزويج الابن الأكبر ثم الذي يليه، إلاّ فيما ندر لغياب الأكبر في المهجر أو عدم رغبته هو في الزواج، وقد يتم تزويج اثنين من الأبناء في نفس اليوم، أما بالنسبة للبنات فأن الأهل يفضلون زواجهن حسب أقدمية السن، وكان من النادر أن يقبلوا بزواج الصغيرة، بل وحتى خطوبتها فقط قبل الكبيرة، لأن ذلك معناه حرمان الكبيرة من الزواج حيث يرغب عنها الشباب بسبب ذلك وقد تصبح عانساً. وكثيرة هي الحالات التي تحرم فيها الفتاة من نصيبها بسبب رفض الأهل لكل من يتقدم لها تحت هذا المبرر، حتى وأن كانت أختها الأكبر مقارنة بها ليست على قدر من الجمال. وفي الحالات النادرة التي يسمح فيها بزواج البنت الصغرى قبل شقيقتها الأكبر منها فإن العريس كان يدفع مبلغاً من المال للبنت الأكبر يسمى في بعض المناطق (شطاوة).

سن الزواج

ساد نظام الزواج المبكر، وكانوا يفضلونه عملاً منهم بالحديث الشريف "تزوجوا صغاراً وحجوا كباراً" ولأنهم يحمون به أولادهم من الانحراف أو الوقوع في الخطيئة، فضلاً عن رغبتهم في أنجاب الأطفال، لا سيما الذكور، الذين يفضلونهم على البنات لأنهم سيكونون عوناً للأسرة أو القبيلة في الأعمال المختلفة، لا سيما في زراعة الأرض التي تعد المصدر الأساسي للعيش، وكذا في الذب عنها من خصومها فيما إذا كانت لها نزاعات أو فتن مع آخرين.

ولم تكن هناك سن محددة للزواج، ويفضل أن يكون عمر العروسين متقارباً، وأن يكون عمر العريس أكبر بقليل، ومن غير الشائع أن يكون عمر العروس أكبر من عمر العريس. وكان يجوز أن يتأخر زواج الفتى لسبب ما، أما البنت فتتزوج في سن صغيرة لأنها إذا تجاوزت سن الثامنة عشرة دون أن يتقدم لها أحد يقل حظها في الزواج، وقد تغدو عانساً، وهذه ربما عادة هندية وجدت لها تأثيراً في يافع – كما في بعض التقاليد الأخرى- بحكم هجرات اليافعيين القديمة إلى الهند. كما قد يتأخر زواج الفتاة بسبب تعنت الأب وإسرافه في مطالب الزواج التي قد تثقل كاهل العريس وأهله وتؤدي أحياناً إلى إلغاء الخطوبة. ومع كل ذلك فقد كانت ظاهرة العنوسة نادرة، إلاّ في حالات معينة كالمختلة عقلياً أو الدميمة الخلق أو المسترجلة.

وجرت العادة ان تتزوج الفتيات بين سن الثانية عشرة والخامسة عشرة، والفتيان في سن الرابعة عشر أو أكثر. وفي حالات نادرة كان يحدث أن يقدم الفتى على الزواج في سن أقل من ذلك، قبل سن النضج أحياناً، وهو في هذه الحالة أما أن يكون وحيد أبويه الكبيرين في السن ويرغبان أن يكون لهما أحفاد في حياتهما، أو لدوافع اقتصادية بحته كالحاجة لمساعدة الأسرة في الأعمال المختلفة من قبل زوجة الابن. وأعرف حالات تزوجت فيه فتيات قبل بلوغهن سن النضج وأصبحن جدَّات ولم ينطوي العقد الثالث من أعمارهن بعد. وكانت الزوجة الصغيرة، أو الزوجة الطفلة -إذا صح التعبير- تغادر بيت أهلها وتزف إلى بعلها وهي حزينة تذرف دموع الفراق لأهلها، لأنها لا تفقه، في مثل هذا السن، شيئاً من أمور الزواج.

وكذا الحال مع بعض الفتيان الصغار الذين يجدون أنفسهم وقد أصبحوا أزواجاً حسب إرادة الأب ورغبته.

وكان البعض يعتقدون أن تزويج أبنائهم في مثل هذه السن المبكرة يجعلهم أكثر ارتباطاً بالبيت ويقيهم من الانحراف أو الوقوع في الخطيئة وينمي فيهم روح المسئولية تجاه الأسرة مبكراً، خاصة حين تنجب زوجته ويغدو أباً.

وحين نمعن النظر بدوافع الزواج المبكر الذي كان سائداً، لا بد أن نربطه بطبيعة الحياة الصعبة والقاسية التي كانت سائدة في ظروف المجتمع القبلي،قبل الاستقلال الوطني، حيث كان الفتيان والفتيات يندمجون في الحياة العملية منذ نعومة أظافرهم، لأن التعليم كان منعدماً، ولا يشغلهم شاغل، لذلك كان الآباء يعهدون للأطفال قبل سن العاشرة بعض الأعمال البسيطة التي بمقدورهم القيام بها كرعي الأغنام أو مساعدة الأب في حراثة الأرض وغيرها. أما البنت فتقوم ببعض الأعمال المنزلية وتتدرب على جلب الماء والحطب والعلف للماشية، وتحرص الأم على تعليمها إجادة وإتقان جميع التدابير المنزلية لإدراكها أن أهلية الفتاة وحظها في أن تغدو عروساً يتوقف على مدى قدرتها على القيام بالأعمال المنزلية وغير المنزلية.

وفي سن الزواج المبكرة لم يكن بمقدور الفتى الإفصاح عن رغبته في الزواج، لأنه في عمر لا يمكن فيه أن يواجه متطلبات الزواج، ناهيك عن مجرد التفكير بالاستقلال عن الوالدين، ولذلك لا بد من رضا الأب، بل أنه هو الذي يقرر ذلك وفقاً لظروفه وأغراضه، وتبعاً لذلك يكون عليه أن يهيئ الظروف ويتدبر كل متطلبات الزواج ونفقاته من المهر والهدايا والملابس والمصاريف اللازمة. أما إذا كان

الشاب عضواً فاعلاً في الاقتصاد العائلي وعاملاً نشطاً يعتد به في الأسرة أو مغترباً في الخارج – وقد اشتهر اليافعيون بالهجرة إلى مختلف المهاجر المعروفة- فإنه قد يفصح عن رغبته في الزواج، ولكن لا بد أيضاً من رضا الوالدين، ولذلك فأن الشاب يتوجه في مثل هذه الحالة بطلبه إلى أبويه للبحث عن شريكة حياته القادمة وقد يحددها بالاسم أحياناً.

وفي الغالب يكون الأبوان هما من يبادر في طرح موضوع زواج الابن. بل أنه كان يحدث أن يخطب الأب لأبنه وهو لم يزل بعد في المهد أو طفلاً صغيراً، والخطيبة أيضاً بنفس السن أو أصغر، ومثل هذه الحالات كانت نادرة جداً وتتم بين الأقرباء لأسباب اجتماعية أو اقتصادية، وبمجرد الاتفاق شفوياً وتقديم أب الطفل لأب الطفلة – الذي يكون شقيقه أو قريبه- ريال فرنساوي من نوع ماريا تريزاء، وهو ما يسمى (قرش الطرح) يكون قد تقرر بذلك مستقبل زواج الطفل والطفلة، أي أن البنت الصغيرة، أو الطفلة على الأصح، قد أصبحت في حكم العروس المستقبلية (الحريوة) للطفل أو عروس المستقبل (الحريو) دون أن يفقه أي منهما شيئاً من أمر هذا الاتفاق الذي يخصهما ويقرر مستقبل علاقتهما الزوجية، ولن يعرفا به إلاّ حين يكبران، ويتقبلان ذلك دون اعتراض، ويصبح هذا الاتفاق نافذاً. ولكن قد يحدث أن يتخلى أحد الطرفين ويلغي الخطوبة لأي سبب من الأسباب، كما في أي خطوبة عادية أخرى، وفي مثل هذه الحالة فأن الطرف الذي يغير رأيه ويتراجع عن التزاماته يأتي براس غنم ويعتذر فيقبل منه.

الزواج من بنت العم

الزواج من داخل الأسرة كان شائعاً وقانوناً متعارف عليه في يافع، ولذلك صلة بالبنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع اليافعي. وعلى هذا النحو كان الزواج بين أبناء العمومة مفضلاً، وكان لأبن العم الحق في الزواج من بنت عمه، ولا يجوز تزويجها لغيره، إلاّ إذا رغب عنها هو، وقد تجسد هذا الحق في المأثورات الشعبية فالمثل يقول"بنت العم نزلَةْ من عالجَمَلْ". ومثل هذا الزواج مفضل لدى العرب وبعض الشعوب الأخرى. ومن أهم أسبابه:

- بنت العم تكون معروفة وجزء من كيان الأسرة وعامل فاعل فيه ولذلك يسهل اندماجها مع الأسرة لمعرفتهم الجيدة لها، على عكس البنت من خارج الأسرة أو القبيلة أو القرية، التي لا يعرف عنها الكثير.

- السبب الاقتصادي، ففي حالة زواج أبناء العمومة يكون المهر أقل، كما تقل الكثير من تبعات ونفقات الزواج والهدايا التي تكلف ميزانية الأسرة أعباء ثقيلة في حالة الزواج الخارجي وفي ظل الظروف الاقتصادية الصعبة.

- ومن الأسباب الاقتصادية- الاجتماعية، الحفاظ على ميراث الأسرة وتماسك كيانها ووحدتها. وقد كان زواج أبناء العمومة من أهم العوامل لانتقال هذا الميراث في إطار العائلة الكبيرة الواحدة، لأن الأرض في ظروف المجتمع القبلي وصعوبة الحياة التي تعيشها القبائل كانت أمراً لا يقبل أحدٌ التفريط به لقلة المساحات الزراعية، التي هي في معظمها مدرجات جبلية، وتمثل المصدر الأساسي للحياة، والحفاظ على قطع الأرض الزراعية من أهم عناصر تعزيز

القدرة الذاتية للأسرة أو الفخيذة أو القبيلة. والزواج بين أبناء العمومة كان يتم في إطار الأسرة الأبوية الكبيرة، حيث يعيش الأخوة والأبناء والأحفاد تحت سقف واحد ويمثلون وحدة اقتصادية واحدة، تعمل بصورة تكاملية وتقتات سوية، طالما ظل رب الأسرة على قيد الحياة، ولم يتم تقاسم الإرث. ونادراً ما ينفصل أحد الأبناء وزوجته وأولاد في حالات خاصة، فقط، بسبب المشاكل التي يكون البقاء معها مستحيلاً، وفي مثل هذه الحالة قد لا يحصل على شيء من ممتلكات والده -ما بقي الأب حياً- وعليه ان يتدبر حياته بنفسه.

- كان الزواج الخارجي غير مفضل، خاصة في ظروف الفتن والحروب القبلية، لأن أهل البنت في هذه الحالة لا يمكنهم القيام بزيارتها في المناسبات ولا حتى حمايتها إذا لحق بها حيف أو ضيم، ويخشون أن يلحق بها أذى أو مكروه وهم غير قادرين على فعل شيء يدفع عنها مثل هذا الأذى. ومن مخاطره أيضاً أن البنت وأولادها على الأخص قد يصبحون خصوماً لأهلها في ظروف الفتن القبلية التي كانت سائدة، ومكمن الخطورة أن البنت تعرف كل شيء عن الأهل، أو العكس.

زواج البدل

وهو أن يتزوج شاب شقيقة شاب آخر ومقابل ذلك يزوجه أخته ويسمى هذا زواج (الكوّاف) أو (القِفَال)، وكان اللجوء إليه لأسباب اقتصادية إذ لا يكلف الأسرتين تبعات كثيرة، وهو يكون عادة في إطار الأسر التي تجمعها قرابة الدم، بهدف تدعيم رابطة القرابة. وهذا الزواج محدود جداً، وكان يؤدي، أحياناً، إلى مشاكل تنعكس على

أطرافه مجتمعه، فقد يختلف الزوج وزوجته أو يسيء التعامل معها، فيدفع أهلها ابنهم للتعامل بالمثل مع زوجته.

كما ساد زواج الأخ على زوجة شقيقه المتوفي، لا سيما حين يكون لها أطفال صغار وتكون هي في ريعان شبابها، ومثل هذا الزواج يهدف إلى رعاية وتنشئة أبناء الأخ المتوفي دون فقدان أمهم، التي قد تتزوج، في مثل هذه الحالة، على من يتقدم لها، حتى ولو كان الشخص المتقدم من خارج الأسرة.

المهر (الدّفع)

المهر أو الصداق هو ما تُعطاه المرأة لحلِيَّة الاستمتاع بها، وهو واجب، بقول الله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾. وقول الرسول ﷺ: "التمس ولو خاتماً من حديد".

وفي يافع لم يكن المهر محدداً بدقة في عموم المناطق، وإنما يختلف بعض الشيء بين منطقة وأخرى. لكنه كان بسيطاً بصورة عامة، وقد استحب الرسول الكريم ﷺ تخفيفه لقوله: "أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة". وكان المهر يقل عند الزواج من بنت العم ويزيد عند الزواج الخارجي، وقد تدفع بعض الأسر الميسورة مهراً أكثر لإظهار ثرائها، أوقد يزداد مهر الفتاة في حالة أن يتنافس عليها أكثر من شخص من الأقرباء، إما لجمالها، أو أن يكون لها أرض هي الوارث الوحيد لها بعد والدها، أما الأرملة فيكون مهرها أقل.

وفي يافع، كما في كثير من مناطق اليمن، لم يكن للمرأة حق في تقرير المهر أو التدخل فيه أو الحصول عليه، ويكون تقريره ومصيره بيد ولي أمرها، وكانت تحصل هي على مبالغ وهدايا أخرى غير المهر، وتحتفظ بحق ما يسمى (الهَديِّهْ والقَديِّهْ) وهي عبارة عن هدايا

أو نقود ولحوم تعطى لها من قبل أهلها في المناسبات والأعياد، كما أن على أهلها واجب التواصل معها وحمايتها والتدخل إذا واجهت أي مشاكل. بيد أنه كان يوجد في بعض المناطق صنفان من الصداق أو المهر هما: الدّفع وهو ما يشترطه الأب على العريس ويُدفع له مباشرة وليس للعروس أي حصة منه، ويسلم جزء منه للأم وللخال. أما المَهْر فهو للمرأة ولكنه مؤجل، ولا يُدفع لها إلاّ في حالة الطلاق، وكان يحدد في عقد الزواج برطل فضة نقية بميزان البلد. وهناك طرفة حدثت فعلاً في إحدى القرى فعندما سمع والد العروس المأذون يقول أن المهر رطل فضة بميزان البلد، قال معترضاً: لا بميزان (فلان) وفلان هذا تاجر في تلك القرية مشهور بالأمانة والصدق.

وكانت الفتاة المتزوجة تحصل على الفضة المتفق عليها، ولها أيضاً ما يسمى (الفَتَّاشَهْ) أو (الحَتَّامَهْ) وهي عبارة عن مبلغ من المال كان يزيد أو يقل عن عشرة قروش (ريالات ماريا تريزا) تعطى لها من الزوج ليلة الزفاف سواء عند دخوله عليها في غرفة الزوجية مباشرة وقبل أن تكشف النقاب (المَجْوَلْ) عن وجهها، أو يعطى لها على مراحل – كما في بعض المناطق – عند دخول سدة البيت وعند طلوع (الهِدِهْ) وعندما تشرب الماء أو القهوة بعد وصولها.

ولم يكن مقدار المهر محدداً أو موحداً في عموم يافع، بل يتفاوت بين منطقة وأخرى، من ٥٠ إلى ١٠٠ ريال فرنصة، وكان قبل ذلك عينياً، ثم قيد بقانون فيما بعد الاستقلال وحدد بألفي شلن فقط. وكان يزيد مقدار المهر للمتزوجة إلى خارج الأسرة أو القرية. وجرت العادة أن يُدفع المهر مقدماً، رغم أنه يجوز أن يكون جزء منه مؤجلاً. وفي الوقت الحاضر فإن المهر غير محدد ويختلف بين منطقة وأخرى، وهو يتراوح بين مئة وثلاثمئة ألف ريال.

تعدد الزوجات

إن الجمع بين أكثر من زوجة ظاهرة نادرة في يافع. ورغم أن الإسلام أباح تعدد الزوجات، إلاّ أن الزوجة أحصن للأسرة وأدعى لتماسكها وتآلف أفرادها وتوادهم، ويحدث الزواج من ثانية لأسباب نذكر منها:

- عقم الزوجة ومرور سنوات دون أمل في إنجاب الأطفال الذين تزيد بهم منعة الأسرة، وفي هذه الحالة يتزوج الرجل ويحتفظ بالاثنتين.
- إصابة الزوجة بعاهة أو تشوه أو مرض مزمن يقعدها عن الحركة. ويبقي عليها الزوج سواء كان لها أطفال قبل مرضها أو لم يكن، وتحظى برعاية واهتمام الزوجة الجديدة.
- الاختلاف الذي قد يؤدي إلى الطلاق.

ومع ذلك لم يكن تعدد الزوجات ظاهرة شائعة، بل نادرة كما أسلفنا، وتؤدي إلى تنغيص عش الزوجية ونشوء الحسد والتباغض وإشغال الزوج بتوافه الخصام بين زوجتيه وعدم قدرته على العدل كما يأمر بذلك الله عز وجل، وتنتقل العدوى إلى الأبناء فيجد الرجل نفسه في موقف لا يحسد عليه، خاصة مع الظروف الاقتصادية الصعبة وزيادة أعباء الإنفاق على الأسرة، وفي هذه الحالة يصح عليه قول الشاعر:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي … بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أُصير بينهما خروفاً … أُنعمُ بين أكرم نعجتين
فصِرْتُ كنعجةٍ تُضحي وتُمسي … تُداوَلُ بين أخبَثِ ذئبتين
رضا هذي يُهَيِّجُ سُخطَ هذي … فما أعرى من إحدى السُخطتين

وألقـى في المعيـشة كُـلِّ ضُرٍّ　　كـذاك الـضُرُّ بـين الـضُّرَّتين
لهـذه ليلـة ولتلـك أخـرى　　عتـابٌ دائـمٌ في الليلتـين

وقد يكون الزواج من ثانية مدعاة لمشاكل لا حصر لها ومـصدراً لمعاناة الأبناء من الزوجة الأولى، خاصة حين تكون الزوجة الجديدة سيئة في تعاملها معهم وتفضيلها أبناءها عليهم، وتعكس الأمثال الشعبية هذه المخاوف في قولهم "عيال الخالة"، وقولهم "الخالة مَخَلْ"، وقد عبر الشاعر الفنان يحيى عمر اليافعي عن هذه المعاناة وعكسها في مطلع قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

يقـول يحيى عمر مـن ماتـه أمـه تقنَّع
بـا يطعـم المـاء صـبر والقـوت ماعـاد ينفـع
يا آح مـن خـالتي خلَّـت فـؤادي مُوَجَّع
يـا ربنـا نـسألك تنـزل لهـا مـوت أفجـع
يومي وليلي وطرف العين ما عـاد يهجع
لـمَّا الـصّميل المعقـد طُـول ظهـري بيقـرع
با ودعك يا حلالي غـصب والعـين تـدمع
مـا دام شـفت البقـاء لي فيـك مـا عـاد ينفـع
سرحـت والكبـد حـسيته وقلبـي تقطـع
والخـوف بي زاد خـوفي مـن أبي حـين يتبـع

الطـــلاق

حرص الإسلام على وحدة وتماسك الأسرة، وقيد الطـلاق بقيـود تكفل الصالح العام وصالح الأسرة نفسها، وتكفل تحقيق التـوازن فـي حقوق كل من الزوجين. كما ميّز الإسلام عقد الزواج عن سائر العقود ولذلك وصفه القرآن الكريم بالميثاق الغليظ، قـال تعـالى: ﴿وكيـف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن مـنكم ميثاقـاً غليظـاً﴾ (النساء، الآية ٢١)، وبغض الإسلام الطلاق فقال النبي ﷺ: (أبغـض الحلال إلى الله الطلاق) وقال: (تزوجوا ولا تطلقوا فأن الطلاق يهتـز له عرش الرحمن).

وقد كان الطلاق ولا زال، ظاهرة نـادرة الحـدوث فـي المجتمـع اليافعي. ولدرء حدوثه يتم اللجوء إلى أساليب عديـدة تهـدف إلـى حـل الخلافات التي قد تنشأ بين الزوجين عن طريق التفاهم فيما بينهما، أو عـن طريق تدخل أقربائهما، أو اللجوء إلى هجر كل منهما للآخر لفترة محددة، يتم خلالها امتصاص الغضب وإحكام العقل بعيداً عن الانفعال، وغير ذلك من الأساليب التي تقي من تفاقم المشاكل حتى لا تؤدي إلى الطلاق وهـو آخر المطاف.

والمطلقة، ومثلها الأرملة، لا تفقد حظها في الزواج ثانيةً، وهنـاك حالات تكرر فيها زواج بعض النساء لأكثر من ثلاث أو أربع مرات.

ومن أسباب الطلاق:

- التدخل سلباً في حياة الزوجين من قبل الآخرين من ذويهما فـي كـل صغيرة وكبيرة، بما يؤثر على مستقبل علاقتهما الزوجيـة ويهـددها بالانفصال.

- عدم الانسجام بين الزوجين منذ البدء، أو الفشل في العلاقات الجنسية، وهذه الأخيرة قد لا يفصح عنها مباشرة، لكنها تكون من أسباب عدم التفاهم والانسجام.
- انعكاس المشاكل الأسرية والقبلية وقضايا الثأر، أحياناً، على مصير الزواج، حتى بدون رغبة واقتناع الزوجين.
- سوء معاملة الزوجة من قبل أهل زوجها، وعدم قدرة الزوج في وضع حد لمثل هذه التصرفات، أو الوقوف منها موقف المتفرج مما يدفع الزوجة إلى الاستنجاد بأهلها.
- سوء أخلاق الزوجة وعدم احترامها لأهل زوجها، قد يكون سبباً كافياً لطلاقها، حتى وان كان لها أبناء.
- ضعف مشاركة الزوجة أو تمردها عن أداء الأعمال داخل وخارج البيت، أسوة بغيرها من النساء.
- الخيانة الزوجية.
- عقم الزوجة أو المرض المزمن. وكان يحدث أن تبقى الزوجة العاقر، وحتى المريضة إن كان لها أبناء أو حتى بدونهم، في عقد زوجها إلى جانب زوجته الجديدة، دون أن يتخلى عنها الزوج.
- العجز المادي، ووقوع الزوج في العسر بعد يسر.

الفصل الثالث

عادات ومراسيم الزواج في يافع

الخطبة

بعد مرحلة الاختيار، وحين يستقر رأي الشاب على الفتاة، وموافقة أهله وأهلها عن طريق وسيط الخطوبة (الذريع) يتم إشهار الخطبة على الناس، ويكون هذا الإعلان بمثابة اتفاق أولي، لكنه مبدئي على الزواج، ونادراً ما يتم الرجوع عنه من أحد الطرفين. وفي حالة أن يكون التراجع من جهة أهل العروس فأنهم يعيدون للعريس كل ما قدمه خلال فترة الخطوبة.

ويتزامن مع إعلان الخطبة ما يعرف بـ(الطرح)، وهو عبارة عن مبلغ من المال يقدمه أهل العريس (الحريو) إلى أهل العروس(الحريوة) مباشرة بعد الاتفاق، وكان في الماضي عبارة عن قرش أوريال فرنصاوي يسمى (قرش الطرح) وهو بمثابة الإعلان عن الخطوبة، ولا تصاحبه أية مراسيم عامة، عدا زغاريد الفرح التي تطلقها النسوة كوسيلة لإعلام القرية بنبأ الخطوبة. ويقال عند ذلك "فلان ذرَّع بفلانة". وذرَّع مشتقة من (الذريع) وهو الوسيط الذي كانت الخطبة ثمرة مساعيه. وقد بحثت عن معنى هذه الكلمة في اللغة العربية، فوجدت أنها أقرب إلى القول في (لسان العرب): "ذرَّع فلان لبعيره إذا قيَّده بفضل خطامه في ذراعه، والعرب تسميه تذريعاً". كما وجدت في القاموس الجديد للطلاب: "الذَّريع بمعنى الشَّفيع"(ط٦، ١٩٨٥م، تونس– الجزائر).

وقد يكون لمهمة الذريع صلة بتقييد مصير الفتاة (الحريوة) ليس بذراعيها وإنما بإعلان خطوبتها، ومن هنا يقال في اللهجة اليافعية عن البنت المخطوبة (إنها مربوطة لفلان) أو (مَزْقُورة).

وليس هناك فترة محددة لفترة الخطوبة. فقد تستمر فترة شهر أو شهرين أو قد تطول إلى عام أو أكثر، وقد تقل عن الشهر حسب اتفاق وظروف الطرفين. وبعد إعلان الخطوبة تتخفى الفتاة من خطيبها، ومن جانبه يتقيد العريس بالتقاليد التي تحضر عليه رؤيتها مباشرة وجهاً لوجه، بل أنه يتحاشى كذلك مصادفتها في أي مكان بجانب البيت أو في الطريق إلى البئر أو الوادي، رغم أنه كان قبل ذلك يتحدث إليها أو يقابلها مثلها مثل غيرها من فتيات القرية. وكقاعدة عامة يتجنب كل من الخطيبين رؤية الآخر أو مصادفته في أي مكان، ولا يحق لهما رؤية بعضهما البعض إلاَّ في ليلة الزواج حين تزف العروس إلى منزل العريس. وطوال فترة الخطوبة التي قد تطول أو تقصر حسب الاتفاق تظل الفتاة تقوم بأعمالها الاعتيادية في مساعدة أسرتها، سواء في المنزل أو الذهاب إلى الوادي أو إلى البئر لجلب الماء وغير ذلك من الأعمال الأخرى.

وخلال فترة الخطوبة يكون العريس ملزماً بإيصال ما يُعرف بـ (الهدية والقدية) للعروس، كحق لها في مناسبات معينة طوال فترة الخطوبة، وهي عبارة عن رُبع رأس من الغنم في مدخل عاشور (شوال)، وفي مدخل رجب، وفي عيد الفطر، أما في عيد الأضحى فيلزمه خروف بكامله. ونظراً للظروف الاقتصادية الصعبة لبعض الأسر فإنهم يحرصون على تقصير أمد الخطوبة والإسراع بالزواج لعدم قدرتهم على تبعات مثل هذه الهدايا الإلزامية.

السَّداد أو كتابة الشَّاهد

وهذه المرحلة تسمى (السَّداد) في بعض المناطق، وفي مناطق أخرى (كتابة الشاهد)، وتعني الاتفاق والتفاهم على تفاصيل الزواج ومتطلباته وموعده. والسَّداد في الفصيح: الاستقامةُ والقصدُ؛ والصَّواب من القول والفعل. أما في اللهجة فالسَّداد يعني الاتفاق. وحين يختلف القوم ثم يتفقوا يقال عنهم: سدّوا أو قع بينهم سداد.

وفي يوم (السداد) أو (كتابة الشاهد) المتفق عليه بين الطرفين، يذهب العريس وبصحبته والده وعدد من أقاربه من الأشقاء أو الأعمام والأخوال ومعهم (الذريع) ويأخذون معهم رأس غنم وهدايا من الحبوب و(كسوة الحريوة) التي تتكون عادة من ثوب واحد للعروس مع توابعه وآخر لأمها، مع كمية متنوعة مما يلزم العروس في فترة الخطوبة، مثل: رطل هرد، وقية ورس، وقية حُسن، وكمية من الزيت (ربوعه دهن) والصابون والحنا والغسل، وكذا قرش أو قرشين فرنصة.

وفي بعض المناطق يكون طابع استقبال العريس احتفالياً، فعند وصوله ومرافقيه من الأهل يكون في استقبالهم بجانب البيت والد العروس وعدد من أقربائها، وتكون الأم ضمن المستقبلين وبيدها المجمرة (المقطرة) تفوح منها روائح البخور المتنوعة. وفور وصولهم يرحب بهم والد العروس رافعاً يده اليمنى وهو يقول: "أهلاً وسهلاً". وقبل أن يتصافح الضيوف مع المستقبلين يتجهون إلى (المِنْصَاع) وهو مكان مخصص لرماية أهداف موضوعة على مسافة محددة تسمى (نَصَعْ وجمعها نصُوَعْ)، ويبدأ المستقبلون بالرماية أولاً، ثم يعطون الفرصة للضيوف، وعندما يصيب أي شخص (النصع) تزغرد (تحْجِرْ) له النساء.

وبعد الانتهاء من الرماية يصطف الجانبان كُلاً في مواجهة الآخر، ويبدأ كبير الضيوف برد السلام، فيرد عليه والد العروس أو الشخص المكلف بذلك، ويسأل الضيوف عن أخبارهم قائلاً: علمكم. أي ما هي أخباركم؟. فيرد كبير الضيوف: لا علم إلاّ ما يسركم. وبعد ذلك يتجه المستقبلون لمصافحة الضيوف الواقفين في صفٍ مقابل ويأخذون منهم أسلحتهم، أو كما يقال (يسلبونهم السلاح)، وليس في هذه العملية ما يدل على السلب أو النهب كما قد يفهم من معنى يسلبونهم السلاح، بل أن الضيوف يقدمون أسلحتهم طواعية لمضيفيهم لمعرفتهم أن هذا التقليد يدل على الاحترام والتوقير لهم من قبل مضيفيهم. ويدخل الضيوف إلى البيت يتقدمهم المستقبلون، وأمام العريس تتقدم أم العروس أو امرأة أخرى تسمى (المتلقيه) تمسك بيدها المبخرة (المَجْمَرَةْ، المَقْطَرَةْ) التي تنبعث منها أعمدة البخور المحترق، فيما ترتفع أصوات زغاريد النساء (المحاجر).

وفي المجلس تقدم القهوة للضيوف ويتبادل معهم المستقبلون كلمات الترحيب. وزيادة في الترحيب توضع كميات كثيرة من البخور (الدخون) وتقدم أمام كل منهم بالترتيب. وتستمر الجلسة، يتخللها مضغ القات من قبل البعض، وشرب المداعة (النارجيلة)، وتبادل الأحاديث حول مختلف الأمور والأحوال.

وتعد وجبة العشاء هي الرئيسية تقدم فيها اللحوم والخبز والعصيد أو الرز، ولذلك يطلق عليها في بعض المناطق (عشاء السَّدَاد). وبعد الانتهاء من تناول وجبة العشاء يتم التفاهم والاتفاق بين الطرفين، ويقوم (الذريع) بتدوين كل ما تم الاتفاق عليه، أو حفظ ذلك في الذاكرة إن كان أمياً.

ومن أهم ما يتم الاتفاق عليه في (السداد) أو (الشاهد) مع اختلاف طفيف هنا وهناك في التفاصيل:

- تحديد موعد الزواج وكذا موعد وفترة (الخبؤ، الخِبا، المَكَمَّه) الذي يسبق الزواج عادة بمدة قد تزيد أوتقل عن شهرين.
- مقدار (الدّفع) أي المهر وطريقة دفعه.
- عدد الشواعة، وهل سيأتون في اليوم الأول ويقضون ليلتهم في بيت أهل العروس أم أنهم سيعودون في نفس اليوم.
- مقدار(الحتَّامَةْ) وهي المبلغ الذي يتحتم على العريس أن يعطيه للعروس، على مراحل بدءاً من خروجها من بيت أهلها ثم دخولها سدّة بيت الزوج وعند طلوعها (الهدِهْ).
- تحديد (الضيفة) وهي تتكون من عدد من رؤوس الأغنام أو العجول التي ستنحر في مراسيم الزواج، وكانت تفضل التيوس السمينة المخصية (لِبْدَانْ، مفردها لَبَدْ). وهي تنقسم على قسمين، الأول ويستهلك في بيت العروس ويتكون من عدة أغنام أو رأس بقر، تتناسب وعدد الشواعة. والثاني يسمى (غنم السوق) أو(قَودْ) ويعود جزء منها أو جميعها مع أهل العروس عندما يأتون صبيحة (البراك) لزيارة ابنتهم، وكانت الأغنام تساق إلى بيت العروس قبيل تحرك الشواعة بساعات. أما كميات الحبوب من الذرة أو الدخن والبن فترسل إلى بيت العروس قبل عدة أيام من موعد الزواج لكي توزع على نساء القرية لطحنها وكذلك تجهيز البُن بتحميصه وتحويله إلى مسحوق. وتقدر كمية الحبوب بما يتناسب وعدد الشواعة المتفق عليه. فمثلاً ١٠ – ٢٠ كيلة (مكيال) من الحبوب لعدد ٢٠– ٣٠شخصاً هم قوام الشواعة، ومكيال أو أكثر

من البُن وصفيحة زيت الجلجل (تنكة سليط)، وكل ما يحتاج إليه والد العروس في مجلسة عشية الزفاف.

- بضاعة الحريوة وهي تتألف من خليط مما تحتاج إليه العروس، ولا تفصل أصنافها عند الاتفاق لأنها معروفة، وهي تجمع في وعاء يسمى (زمبيل الحريوة) ويحتوي عادة على: مرآة، مشط، مكحلة مملوءة بالكحل، طيب منوَّع، قنينة عطر (مضرب)، مزبدة فيها زباد، حُسن،هرد، ورس، حُطم. وهناك صندوق من الخشب يسمى (سحَّارة) يخصص للثياب وتوابعها من مناديل الرأس (مصون، جوالة) وغيرها ويوضع في داخله (زمبيل البضاعة) السالف ذكره والمصنوع من سعف النخيل (العزف). وكان حمل صندوق الحريوه من اختصاص الشاحذ على ظهره، خاصة إذا كان بيت العروسين متقاربين أو في حالة الطرق الجبلية التي لا تسير فيها الجمال أو الحمير.

- تحديد اجرة (الفالية) أو (المصلّحة) وكذا المرافقات للعروس (المسايرات)، وأجرة الذريع، ويكون ثلثيها على أهل العريس والثلث على أهل العروس.

- الحلي وكانت جميعها من الفضة، أما الذهب فلم يدخل إلاَّ في فترة متأخرة (أنظر تفاصيلها في الملحق).

ويدون كل ما اتفق عليه الطرفان والتزامات كل منهما- عادة يتحمل طرف العريس معظم الأشياء- بحضور الشهود والذريع، أو حتى بدون تدوين فإنهم يحفظون أدق التفاصيل في ذاكرتهم. وجرت العادة أن يعود الضيوف إلى بيوتهم في نفس الليلة، أما العريس فيمكث تلك الليلة عند أهل العروس.

أما في بعض المناطق فيستعاض عن (عشا السدَّاد) أو (كتابة الشاهد) بما يسمى (الدّخلَة) وتعني أن يدخل العريس إلى بيت أهل العروس ومعه الأهل والأقارب ويأخذون معهم رأس غنم أو أكثر، حسب الإمكانية، وحسب المدة التي سيمكثون في ضيافة أهل العروس، وتكون عادة من يوم إلى خمسة أيام. وخلال ذلك يتم الاتفاق على بقية الأمور المتعلقة بالزواج.

وفي بعض المناطق، كما في ريو مثلاً، كانت الخطوبة مناسبة للفرحة، حيث تشهد القرية (ليلة عشا السداد) رقصات للرجال وأخرى للنساء على دقات الطبل والمزمار وبمصاحبة الأغاني والأهازيج ذات الإيقاعات المناسبة للرقص و تستمر حتى وقت متأخر من الليل.

الخِبَا (الخبؤ) (المَكَمَّة)

في اللغة، الخِبَأ من خبأ الشيء: ستره وأخفاه. واختبأت: استترت. والمخبأة: الجارية التي في خِدْرها لم تتزوج بعد لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت. وامرأة مُخَبَّأة، وهي المُعْصِر قبل أن تتزوج؛ والمُعصر هي التي بلغت عَصْر شبابها، وقيل: أول ما أدركت وحاضت. والخَبْءُ (الخبؤ): ما خُبيء، سُمِّي بالمصدر. أما (المكمَّة) فهي مشتقة من الغطاء. ففي اللغة يقال: كَمّ النخلة، أي غطَّاها لترطب. ويقال للقلنسوة كُمَّة لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كُمَّا القميص لأنهما يغطيان اليدين.

والخبأ باختلاف تسمياته في بعض مناطق يافع، هو المرحلة التي تأتي مباشرة عقب (السَّداد) أو (كتابة الشاهد) ويسبق مراسيم الزواج ويمهد لها. وخلال مدة الخِبَا تتوارى العروس (الحريوة) عن أنظار الناس وتلتزم بيت أهلها ولا تظهر خارجه كي لا تتعرض للفح أشعة الشمس،

ولذلك يتم إعفائها من القيام بأية أعمال خارج المنزل، كما تخفف عنها الأعمال داخل المنزل إلى الحد الأدنى، وقد لا تقوم بأية عمل إن كان لديها من الشقيقات أو النساء الأخريات من يحل محلها في مثل هذه الأعمال.

والعريس ملزم لعروسته أثناء مدة الخبا بثوب الخبأ ومنديل للرأس (يسمى قرقوش أو مَصْوَن) ومساحيق التجميل الأخرى كالورس والهرد والحُسن، إذا لم يكن قد جلبها معه في ليلة السداد (عشاء السدّاد) أو (كتابة الشاهد).

وفترة الخبأ ليست محددة، لكنها في الغالب تستغرق قرابة شهر أو شهرين، وقد تطول إلى عدة أشهر، إن كانت الفتاة من أسرة ميسورة الحال ولا تحتاج أسرتها لجهدها وعملها. والغرض من فترة الخبأ هو أن ترتاح الفتاة من عناء العمل والتعب وإكساب جسدها ليونة ونعومة وبياضاً. وتكثر خلال هذه الفترة من صبغ وجهها بمساحيق الهرد والورس والحُسن.

وخلال مدة الخبأ، وتحديداً قبل الزواج بأسبوعين أو أكثر، تغني النساء من أقارب العروسين ومن الجيران أغانٍ ومواويل خاصة تهيئة للفرحة الكبرى المتمثلة بالزواج.

ومن تلك الأغاني التي تتردد من جانب قريبات الحري:

ألاَ وا هـداني، جَهْـدَا نَـدَبْ لَـهْ نَدُوْبَـهْ
ألاَ وخَـذْ لَـهْ مِـنْ الجُـبْحْ نُوْبَـهْ
ألاَ وا هِـدَاني، جَهْـدَا جِـزِعْ بـالمَلاوي
ألاَ وخَـذْ قرنفـل وجـاوي

وفي بيت الحريوة تتردد أغاني الهدان، مثل:

ألاَ جيت أخدُمش جيت من داري
ألاَ جيت أخدمش جيت بالعاني
ألاَ جيت أخدمش وا حلا حالي

أو يرددن أهزوجة على صوت آخر:

ألاَ وا هـداني، بَـنْ عَمِّنَـا وا نَـسَبْنَا
ألاَ وا هِـدَاني، واكْتَـسَبْنا ذِيْ كَـسَبْنَا

كما يؤدين بعض الرقصات النسائية الثنائية، ويرددن وهن منتظمات في صفوف الرقص أصوات غنائية تتناسب مع إيقاع الرقص، مثال:

ألاَ رَعْ البُنَّـهْ قَبُولَـهْ وا كُـلّ جَـاني
تِوَثَّـقْ بالـصَّبَحْ، لا تزقَـرْ بِلَـوْلاس
تأَنَّـهْ وانْتَـدِبْ لـك وا كُـلّ زاجـي
ولا تِطْلَـعْ صَـبَحْ مِتْهَـوِّيْ ونَـوَّاسْ

وتستمر أغاني (الهِدَان) والرقصات حتى ليلة الحنا التي تسبق يوم الزواج، وتكون ليلة حافلة بالفرحة والغناء والرقص للرجال والنساء في القرية بكاملها.

الفالية أو المصلحة

وقُبيل ليلة الحنا بيوم أو يومين، تأتي مهمة (الفالية) أو (المصلِّحه) أو (الراحضة) أو (المنقشة) وهي تسميات مختلفة، هنا وهناك في كثير من مناطق يافع، لتلك المرأة التي تقوم بتزيين العروس (الحريوه) بالحنا في يديها وقدميها وتخضب شعرها بمسحوق أوراق شجرة الآس العطرة (الهَدَسْ) وتسرِّحه (تفليه) على شكل ضفائر عديدة أو تجمعه على شكل خصلتين (قَرَائع). وقد تكمل هذه عملية التزيين والتسريح للشعر في اليوم التالي وتقوم بتزيين قصة الرأس (النبعة) وهي عبارة عن خصلة كثيفة من شعر مقدمة الرأس تُقص بشكل متساوٍ من حيث الطول وتخضب بالهدس (الآس) وتنساب إلى جهة الوجه، تزين مقدمة الرأس، أعلى الجبين، كعلامة تميز المتزوجة عن العذراء. وتسمى هذه العملية في بعض المناطق (ليلة الأثث).

وتكون الفالية أو المصلِّحه امرأة متخصصة أو معروفة في هذه القرية أو تلك بإتقان وإجادة هذا العمل الذي يتطلب دراية ومهارة، وهي تستلم مقابل ذلك أجرتها من أهل العروس، وكانوا في الماضي يعطونها مكيال من الحب (كَيْلِهْ) وجلد شاه ينتفع منه في صنع قربة لجلب الماء (أَرْبْ) وكذا تحصل على كمية من اللحم، تعرف في بعض المناطق بـ(سِلُوب الجلَبَهْ حقّة الحنا) والمقصود بها القلب والكبد والرئة، وكذا رأس الذبيحة من الغنم. أو يعطى لها مبلغ متفق عليه من الريالات الفرنصية (ماريا تريزا).

وأثناء تزيين وتسريح شعر العروس تحضر النسوة من الأهل والجيران وتصدح حناجرهن بالأهازيج.

يوم الحطب

كان الحطب إلى عهد قريب هو مادة الوقود الرئيسية والوحيدة، وكان يتم الحصول علية بصعوبة، حيث يجمع من حدود القبيلة المعنية، وينقل على ظهور الحمير أو الجمال وعلى ظهور النساء، فيما كانت الأخشاب تُنقل على أكتاف الرجال. ولأن ولائم الزواج تتطلب كمية كبيرة من الحطب تستهلك في إعداد الولائم الكبيرة فأنه يخصص، في بعض المناطق، يوم أو يومين إذا كان العريس والعروس من قرية واحدة، ويجهز أهل العرس وجبة الغداء ويستقبلون الحطّابة على أنغام الطبل والناي (الشبابة، القصبة) ويطلقون الأعيرة النارية كتعبير عن الفرحة بإنجاز هذه المهمة الكبيرة التي يتوقف عليها تجهيز الولائم في وقتها ودون صعوبة تترتب عن نقص كمية حطب الوقود. وبعد أن يتناول المشاركون في جمع الحطب من الجنسين وجبة الغداء تبدأ حلقات الرقص التي يشترك فيها النساء والرجال وتستمر حتى مغيب الشمس، و في غمرة الفرحة خلال سويعات الرقص والغناء ينسى المشاركون ما عانوه من تعب ومشقة عند قيامهم بجمع الحطب ونقله من مسافات قد تكون بعيدة أحياناً عن القرى، مع صعوبة الطرق التي يقطعونها في بطون الجبال أو المنحدرات الجبلية.

ليلة الحنّا

الحنا، نبات ذو رائحة طيبة يستخدم ورقه بعد تجفيفه وسحقه في تخضيب اليدين والقدمين بأشكال جميلة تكتسب بعد جفافها لوناً أحمر يميل إلى السواد. وللحناء صلة واضحة بمعتقدات العرب القديمة، إذ يعتقدون ببركته، وأن له قوة رمزية بمقدورها أن تقي الإنسان أو تدفع عنه شر محتمل.

ومثل هذا الاعتقاد كان شائعاً في يافع، بل أنهم كانوا يعتقدون أيضاً أن (نِجْمْ) كل من الحريو والحريوة يكون ضعيفاً، ولا بد من وضعهما في مأمن - قبيل الزواج - وتحت الملاحظة من أي مكروه قد يمسهما من الحساد أو الأعداء، ومثل الحنا كان البخور يستخدم بكميات كبيرة للاعتقاد أيضاً بفوائده في طرد الأرواح الشريرة، ومثل هذه الاعتقادات تعود بجذورها إلى عهود قديمة سابقة للإسلام.

وكان الرجال أيضاً يستخدمون الحنا مثلهم مثل النساء في الأيدي والأقدام، ليس فقط عند الزواج وإنما أيضاً في الأوقات العادية، كما كانوا يخضبون فيه جبهة الحيوانات الأليفة أو أجزاء من جسمها، خاصة عند حدوث جائحة أو مرض تنفق بسببه الحيوانات أو عند سماع أي هزة أرضية (راجفة) أوعند كسوف الشمس أوخسوف القمر لاعتقادهم بمفعوله الساحر.

وتبدأ طقوس ليلة الحنا من الصباح الباكر، حيث يذبح رأس بقر أو عجل أو رأس من الغنم أو عدة أغنام حسب الظروف، وتعد الوليمة في كل من بيت العريس والعروس وتكون محدودة يحضرها الأهل والأقارب والمدعوون من الجيران، ويجهز الحنّا أيضاً. وفي بعض المناطق تكون الأفراح والرقصات الرئيسية للنساء والرجال ليلة الحنا في بيت العروس إذا كان العروسان متجاورين أو في إطار القرية، أما إذا كانا من قريتين متباعدتين فتقام الأفراح هنا وهناك على السواء.

ومن فترة الظهيرة تزدحم النساء في منزل العروس (الحريوه) من أقربائها وجيرانها ونساء القرية عموماً اللاتي يصلن زرافات ووحدانا ثم يحتشدن في المساء حين تبلغ الأفراح ذروتها. ولأن ليلة الحنا هي آخر ليلة تقضيها (الحريوه) في بيت أهلها كفتاة، فإنها تقضيها عادة في

وداع الأهل والصديقات، خاصة إن كان زواجها إلى خارج القرية. ثم يأتي دور الحنّا، إذا لم يكن قد تم في الليلة السابقة، حيث تقوم (المحنية) أو (المخضبة) بتخضيب قدميها وكفيها، وتتفنن في اختيار النقوش من الحنا، وأثناء وضع الحنا وبعده تستمر الرقصات والأغاني النسائية إلى وقت متأخر من الليل، ومن اشهر الرقصات النسائية: الشوبلية، البنائية، وتمتاز هذه الرقصات النسائية الثنائية بحركاتها الانسيابية الهادئة، ويكون الغناء دائماً مصاحباً للرقص:

ألاَ لا حبيبي مسافر ودّعَهْ بالسلامه

ألاَ من فراق اهلي يا غُلبتي والنَّدَامه

ألاَ وا هَلِيْ وا مُهَلاَّ، وا حرير المُكلاَّ

ألاَ سُعْد من يملكك لباس يمسي وظلاّ

ألاَ قال أبو جلجله جِلْجِلْ مطَيَّر بِجَلَّهْ

ألاَ ليتنا له هِيْ آلَقِّطَهْ وا تِوَلَّهْ

وليلة الحنا عند (الحريو)، قد تكون في مساء نفس اليوم أيضاً أو في اليوم التالي، ويكون فيها احتفال بهيج يحضره الرجال ونساء الأهل، ويكون الرقص الرجالي هناك هو سيد الموقف، حيث يؤدي الرجال رقصات (السفيخ) و(السمرة) أو(رقصة العسكرية) كما في بعض مناطق الحد وغيرها من أنواع الرقصات الرجالية التي يتفنن الجميع في أدائها ثنائياً وسط تشجيع الحاضرين وعلى أصوات الدّان التي يرددونها مع إيقاعات الطبل والطاسة وأنغام المزمار والشُبَّابة.

وللنساء أيضاً رقصاتهن المتنوعة وصفوف ألعابهن التقليدية. وتتواصل هذه الرقصات إلى وقت متأخر من الليل، وقد تستمر إلى طلوع الفجر.

ومن أهم مراسيم ليلة الحنا، في بعض المناطق، ما يُعرف بـ(طلوع الحنّا) حيث يجري هذا الطقس في كل من بيت الحريو والحريوة. والطلوع، يعني صعود كل منهما إلى السطح مع اقتراب نهاية الرقص، وفي العادة قرب منتصف الليل، أو عند اقتراب الحفل من نهايته، ووسط حشد من نساء الأهل والمشاركات من الجيران، اللاتي يصطففن على شكل دائرة تحيط بالعريس أو العروس، ويرقصن ويرددن أغاني الحنا، فيما تنبعث من المباخر أعمدة دُخان الطيوب والبخور بكثرة، وتختلط إيقاعات الرقصات النسائية بالزغاريد والغناء، وتطلق أيضاً الأعيرة النارية في الفضاء تعبيراً عن الفرحة بهذه المناسبة، وقد حلّت الألعاب النارية محل الرصاص الحي مؤخراً، واثنا ذلك تقوم الأم أو الأخت بنثر حبوب الذرة أو البُن على رأس العريس أو العروس، بمثابة فداء أو نذر، أو تعبير عن الفرحة. وفي بعض المناطق تحمل إحدى النساء أربع بيضات توضع في صحن فوق ورق الحنا، ومع قرب انتهاء مراسيم (طلوع الحنا) يتم كسر كل حبة بيض فوق ركن من أركان البيت الأربعة.

ومن اشهر أغاني (طلوع الحنا):

على الحنا، على الحنا

ألاَ بسم الله الرحمن

على الحنا، على الحنا

ألاَ واخْزَا الله الشيطان

على الحنا، على الحنا

ويهنا من تحنا به

على الحنا، على الحنا

تحنى خيرة اصحابه

تحنّا به صغير السن

وذي عاده بزَغْ نابه

على الحنا، على الحنا

نمر يِنْهَم من اشْعَابه

على الحنا، على الحنا

جُويهل نقَّشْ اكفافه

وحتى لا يكون للرتابة أو الملل مجالاً بسبب تكرار الأغنية الواحدة أو اللحن الواحد، تقوم النساء، بين فينة وأخرى، بتغيير صوت الغناء وايقاعاته، من مخزون ذاكرتهن المليئة بالأغاني الفلكلورية، بهدف تجديد النشاط والحيوية.

السّوّاع أو التَسْويع

كانت العادة أن لا يتم الاتفاق على يوم الزواج إلاّ بعد التنجيم (التَسْويع أو السّوّاع) حيث يتم الذهاب إلى منجم معروف، ضليع بمعرفة النجوم ومواقيت ظهورها واتجاهاتها يسمى (المسوِّع) فيحدد

الساعة المناسبة للزواج وفقاً لاتجاه النجم (القِرَان) بالنسبة لاتجاه بوابة المنزل، وكان الناس يفضلون أن يكون الزواج في يوم الخميس (ليلة الجمعة) ويوم الاثنين. كما كانوا يسَوعُون عند العقد، وعند الحنا، وعند السفر..الخ.

وهكذا كان يتم اختيار اليوم والساعة التي سيخرج فيها العروسان دون أن يصطدما بالنجم (القِرَان)، فإذا ظهر النجم في جهة الشرق – على سبيل المثال– وكانت سدّة البيت في اتجاه الشرق فإنهم يحرصون على خروج العريس والعروس ووجهتما على عكس وجهة النجم، لتشاؤم الناس من مواجهته عند الخروج واعتقادهم أنه قد يجلب النحس للعروسين ويفسد حياتهما الزوجية. وحتى الشخص إذا لم يوفق في سفر فأنهم يعتقدون أنه لم يخرج في ساعة مناسبة، أو كما يقولون: (خرج والنجم في وجهه).

يوم الزواج

هو اليوم الفاصل في حياة العروسين، لأنهما يودعان فيه حياة العزوبية وبدء حياة زوجية جديدة. وهو يمثل بمراسيمه وأفراحه عيداً بهيجاً للقرية بكاملها وتبلغ فيه الاحتفالات ذروتها، ولهذا يُستعد له منذ وقت مبكر من قبل أهل العروسين. وفيه ترتدي النساء كافة، والفتيات منهن بشكل خاص، أفضل ما لديهن من الثياب ويظهرن بأحسن زينتهن، فألعاب الصفوف النسائية وحضور الناس للمشاهدة فرصة لمن بلغن سن النضج أن يحصلن على عريس لهن، لأن بعض الرجال والشباب يحضرون خصيصاً للبحث عن عروس.

ويتحمل أهل العريس تكاليف طائلة، تشتمل على الولائم والمَهْر والهدايا والضيفة التي سيذهب بها العريس إلى أهل العروس، وقد

عبرت الأمثال الشعبية عن كثرة التكاليف التي يتطلبها الإقدام على الزواج، ومثله البناء، والعناء المرافق لهما، حيث يقول المثل الشعبي "لا ترثي على من بنى أو على من تزوج"، أو قولهم في نفس المعنى "لا ترثي على من قبقب ولا على مَنْ زَبْزَبْ". وقبقب: بمعنى بنى. وزبزب: بمعنى تزوج. ولا يسلم أهل العروس من الخسائر أيضاً ولكن بنسبة أقل. ومع ذلك فأن العادات الاجتماعية وقيم التكافل والتعاون السائدة تقلل من الآثار المادية المترتبة على ارتفاع تكاليف الزواج.

ومن أهم المراسيم التي تتم في يوم الزفاف:

- وليمة الغداء في بيت العريس، حيث يجتمع حشد من الرجال من مختلف الأعمار عند الحريو، لتناول وجبة الغداء، ومن ثم خروج موكب (الشّواعة) برفقته إلى بيت العروس بعد الغداء مباشرة. وفي الوقت الذي يتجمع فيه (الشواعة) قبل تحركهم تتم مراسيم خدمة العريس أو خروج (الحريو)، حيث يرتدي ثياباً جديدة ويتخلى عن ثيابه القديمة للشاحذ. ويتم خروجه إلى ساحة مكشوفة بجانب البيت في موكب تحيط به نساء الأهل والأقارب وهن يرددن:

بسلمي يا أمّه على ابنش   واطرحي جنبه كتاب
بسملوا يا ذي حضرتوا   وألف صلوا عالنبي

وفي الساحة يجلس العريس على حصيرة، وبجانبه توضع في صحنين كمية من حبوب الذرة النقية أو البُن اليافعي الشهير (حوالي كأس أو مكيال من كل منهما)، وتتخذ الأم موقعاً لها بجانب ابنها العريس، فيما تحف به النساء على شكل حلقة دائرية، وهن يرددن أصوات (الهدان) ويؤدين رقصات نسائية ثنائية على إيقاعات الطبل

والطاسة وفي أيدي البعض المجامر التي لا يتوقف منها تصاعد أدخنة البخور، ويقف الرجال جانباً يشاهدون هذه المراسيم أو يتجهون إلى مكان قريب يرمون منه الأهداف (النَّصَعْ) الموضوعة مسبقاً على مسافة محددة.

- في تلك الأثناء يقوم الشاحذ بحلاقة صدغي العريس (التَقْصِيْره[١]) وتسوية شعر الرأس، وكانوا يبقونه طويلاً مسترسلاً، ثم يفرقه الشاحذ إلى نصفين، وهو ما يعرف بـ(فَرْقَةْ الشَّعَر) أو ببساطة (الفَرْقَهْ) ويتم خلالها تطييب العريس في مفرق شعر الرأس بـ(الفَحُوس) وهو مسحوق له رائحة طيبة، أو قد توضع وسط الشعر صبغة حمراء اللون يأتون بها من بيت العروس (الحريوة) وهو عبارة عن خليط من الصَّبِر والمُرّ والحَلتيت والحُسْن، ولذلك ارتباط باعتقاداتهم في أن مثل هذه الصبغة أو المساحيق تطرد الجن وتحد من أعين الحساد وتجعل العريس في منأى عن شرهم.

- يرافق هذا الطقس ما يُعرف، في بعض المناطق، بـ (رمي النقطة) وهو عبارة عن نقود أو مكاييل من حبوب الذرة أو الدخن أو البُن يتقدم به المدعو ضمن (الشواعة) فدية، حيث يرفع ما يقدمه من فدية بيده إلى الأعلى ثم يدورها على رأس العريس الجالس وتوضع في الوعاء المخصص لها. وتتجمع هذه النقود والحبوب وتذهب فيما بعد للشاحذ، لذلك فأنه يحرص على ذكر اسم كل من يضع أية مبلغ ويزيد من الإشادة بكل من وضع مبلغ أكثر.

---

(١) التقصيرة: من قصَّر الشيء، جعله قصيراً. وفي الفصيح، قصَّرَ من شعره تقصيراً إذا حذف منه شيئاً ولم يستأصله. وفي التنزيل الحكيم:" مُحَلِّقين رؤوُسكم ومُقَصِّرين".

- يُسمى هذا الطقس (خروج الحريو) في بعض المناطق، كما في أجزاء من الحد، بـ (المَلْجَنْ)، وتُسمى حلاقة وتزيين العريس (التَّلجين)، وتصدح النساء خلاله بأغانِ الهدان، الشبيهة لأغاني الحنا في مناطق أخرى:

على اللّيجَنْ على اللّيجَن ويسلم من تلَجَّنْ به
تلَجَّن به صغير السّن وذي عاده بَزَغْ نابَه

- في بعض مناطق يافع يتم تناول وجبة الغداء بعد عودة العريس بصحبة العروس، ويتناول أهل العروس الغداء وهو عبارة عن وجبة (عصيد) وتتم أيضاً مراسيم الفدية وفرقة شعر العريس وتزيينه بعد الغداء حينما تكون العروس في بيته وتكون هي أول من تفدي على العريس بعد أقاربه.

- طريقة التعاقد لم تكن محددة في يوم معين، بل يعتمد التوقيت الذي يحدده المنجم (المسوِّع) وقد يتأخر أو يتقدم موعد الزواج وفقاً لما يقرره (المسوِّع). فإذا كان الزواج داخلياً، أي في إطار القرية أو الأسرة، فقد يتم العقد قبل بضعة أيام أو في يوم (الضَيِّفهْ) أو قبيل ليلة الحنا، وقد يتم في يوم الزواج نفسه، وإذا كانت العروس من قرية أخرى، فإن العريس يصطحب المأذون ضمن موكب الشواعة ويتم العقد في ذلك اليوم. وكان عقد الزواج يُبرم بين العريس (الحريو) وولي أمر العروس سواء كان والدها أو من يمثلها، وكان في السابق شفوياً لا يُدوَّن كتابياً، وكان المأذون يقوم بربط يدي ولي الأمر والعريس أثناء العقد، ويعترف بمقتضاه بشرعية الزواج بين المرأة والرجل بجميع الالتزامات والنتائج المترتبة على هذه الرابطة وفق الشريعة الإسلامية.

الشّوَاعَة

الشواعة، لغةً مشتقة من الفصيح (شَوَّعَ القومَ: جمعهم)، و(يُـشَوَّعُ: يَجْمَعْ، ومنه شيعة الرجل. والشيعة: كل قوم اجتمعوا على أمر).

وعلى هذا النحو فالشواعة هُمْ جماعة من الرجال من أهل العريس (الحريو) والأقرباء والجيران ممن وقع عليهم الاختيار لمرافقة موكب الحريو الذي سيتجه إلى بيت الحريوة، ويختلف عددهم حسب الاتفاق الذي تم مُسبقاً مع أهل العروس أثناء (عشاء السداد)، وعلى ضوء ذلك يكون أهل العريس قد أرسلوا مع الشاحذ، صباح ذلك اليوم أو في اليوم السابق له، بضاعة الحريوة (جعبة الحريوة) أو (زمبيل الحريوة) وكذا العدد المتفق عليه من غنم الضَّيِّفة وكمية حبوب الذرة والدخن والبن.. ألخ.

وحين يستكمل تجمع الشواعة في الوقت المحدد ينطلق موكبهم بكامل أسلحتهم وهم منتظمين في صفوف يتوسط الصف الأول العريس، وتتقدمهم مجموعة رقصة البرع، وهذ المجموعة غير ثابتة، إذ يتداول الجميع الأدوار فيها، لأن الجميع يتقنون أداء رقصة البرع بخفة وحيوية وبحركات منتظمة وموحدة على أنغام إيقاعات الطاسة والطبل، فيما تعلو الجنابي أو السيوف بأيديهم اليمنى ملوحة في الفضاء صعوداً ونزولاً بحركات واحدة، فيما يتداول الشواعة ترديد زامل الخروج بأصوات جهورية:

رحنَا سرحنا بالظفر   والسعد معنا والقبول
والرّاميه بيداتنا   والقامزي تحت القفول

وتتغير كلمات الزامل أثناء سير موكب الشواعة مرات ومرات، حيث يكون لهم شاعرهم الخاص، وربما أكثر من شاعر، وإذا كانت المسافة قريبة إلى بيت أهل العروس فإن الموكب يتواصل دون توقف وهم يرددون الزوامل ويرقصون البرع. أما إذا كان البيت بعيداً أو في قرية مجاورة، فأنهم يكفون عن البرع والزامل ويسيرون سيراً عادياً دون انتظام حتى يصلون الى مشارف قرية أهل العريس، على مسافة ١٠٠ – ١٥٠ متراً، فينتظمون مرة أخرى ويستأنفون الزوامل ورقصات البرع ويطلقون الأعيرة النارية جواً باتجاه قرية أو بيت العروس وبصورة متفرقة ويرد عليهم بالمثل من طرف أهل العروس. أما إذا صادف مرورهم في أكثر من قرية قبل وصولهم إلى قرية العروس فإنهم يستأنفون زواملهم ورقصاتهم كتحية وتقدير لأهل تلك القرى الذي يرحبون بهم ويطلقون أمامهم الأعيرة النارية الحية أو يعرضون عليهم الأكل أو القهوة. (أنظر الفصل الخاص بالأغاني والزوامل).

على الجانب الآخر، بجانب بيت العروس، يكون شواعة أهل العروس أو (المرحبين) قد انتظموا بالمثل استعداداً لاستقبال شواعة العريس بالزوامل ورقصات البرع وهم يتجهون بموكبهم في اتجاه شواعة العريس لملاقاتهم على مسافة لا تبعد كثيراً عن البيت، وأمام الموكب تتقدم عدة نساء، بينهن أم العروس، لاستقبال العريس، بالبخور والدخون والمحاجر (الزغاريد)، وعند وصولهن إلى جانب العريس يزغردن عدة مرات، وتبقى أم العروس بجانب العريس، فيما تتخذ بقية النساء المستقبلات موقعاً متقدماً أمام موكب الضيوف (شواعة الحريو) وهن يحجرن بين وقت وآخر ويحرقن البخور في المجامر التي يحملنها بالأيدي، وهن بكامل زينتهن وثيابهن الجديدة.

ويكون كل من الطرفين حريصا على معرفة مضامين زامل الطرف الآخر للرد عليه ومبادلته الكلمة بمثلها والترحيب بمثله والحجة بالحجة، ويحاول الشعراء إبداء التفوق على بعضهم في ارتجال الزوامل القوية في المبنى والمعنى. ويكون مطلع زوامل شواعة الحريو عبارة عن تحية وسلام كمثل (مني سلام الفين، أو سلام لك لكِّين..الخ) فيما تكون استهلالة زوامل المرحبين ترحيبية (يا مرحبا حيّا.. الخ). وقد تتخذ الزوامل طابع المزح والنكتة أحياناً للتسلية، أو الفخر أحياناً، وقد تعالج موضوعات اجتماعية عامة، أو تلامس قضايا قبيلة حساسة فيكون طابعها جدياً ومعناها لا يعرفه إلاّ ذوي الشأن، خاصة حينما تكون بين الطرفين فتن قبلية قديمة أو منازعات، وقد تسهم الزوامل أيضاً في وضع حد نهائي لمثل هذه الفتن والمشاكل..الخ. (أنظر زوامل الشواعة والمرحبين- الفصل الثالث).

وحين يتقابل الموكبان وجهاً لوجه، يلوح كبير المستقبلين – ويكون عادة والد العروس – بيديه مرحباً بشواعة العريس، وقد تطلق أعيرة نارية ترحيباً بالضيوف فيردون عليها بالمثل. ولا يتوقف الموكبان، بل يتخذ موكب المرحبين موقعه في المقدمة ويليه موكب شواعة العريس، وأمام كل من الموكبين إثنان من الشحَّاذ، أحدهما يضرب الطبل أو الطاسة والآخر يعزف على الشبابة (القصبة) أو المزمار وتستمر جماعة البرع في أداء هذه الرقصة، وهنا بالذات حين يلتقي الطرفان يختار كل منهما أفضل من يؤدي فنون هذه الرقصة الرجالية الأصيلة التي يستمتع بمشاهدتها الجميع بما في ذلك النساء على أسطح المنازل أو بجانب البيوت.

وعندما يصل زامل أهل العروس إلى مكان الرماية المخصص لرمي الأهداف (النَّصَعْ) يزملون بصوت واحد:

(مِنَّهْ ولَيْهْ، من حيث ما سرنا توكَّلنا عليه، وانا ذيب العُوَلْ)

ويتوقف زاملهم، ويفعل مثلهم شواعة الحريو، ثم يبدأ أصحاب الحريوة بالرماية على الأهداف حتى يتوقفون من أنفسهم، ثم تتاح الفرصة بعدهم للضيوف (شواعة الحريو) فيرمون الأهداف حتى يتوقفون من أنفسهم أيضاً. وأثناء الرماية يتابع الحاضرون والمتفرجون من الرجال والنساء باهتمام وتركيز دقة الرماية، وحين يصيب أحدهم الهدف تزغرد له النساء ويشيد به الشاحذ بصوت عالٍ يسمعه الجميع، كأن يقول (وا مَليحُوه، وكذا مليح لفلان - يذكر اسم الرامي - وانا عبده وعبد من ترمى مثله وامثاله). أو يقول (حيَّاك وحيًّا أبوك، يا جيد يا ابن جيد يا سيدي فلان- يذكر اسمه) ويستمر على هذا المنوال حتى تنتهي الرماية، أما العريس فيحصل على نصيبه من المدح سواء أصاب الهدف أم لم يصب. وفي هذه الأثناء تغني النساء مرحبات بالعريس ومرافقيه:

ألاَ صوت الحريو اقبل ... على راسه حرير اخضر
ألاَ سبعه جِمَال ادَّى ... ألاَ من كل شي غالي
ألاَ فوق الجَمَلْ لوَّلْ ... زهور الورد والكاذي
ألاَ والثاني المْحَمَلْ ... بعود اخضر مع الجاوي
وسَوَّوا فوق ثالثهن ... حَمُوْلَهْ تمر نعماني
ورابعهن مخصص للـ ... ـغزاله جا لها عاني

وخامسهن محمل من — حبوب البُر نيساني
ألاَ وَدِّيْ على السادس — عسل من زهر ظبياني[1]
وسابعهن محمل بال — كساء ثياب بيحاني

المحاولة

بعد انتهاء الرماية على الأهداف (النَّصع) يصطف الطرفان، شواعة العريس وشواعة العروس (المرحبين) في صفين متقابلين وتبدأ مراسيم ما تعرف بـ (المحاولة)[2]. وهي عبارة عن حوار (ديالوج) يبدأ من قبل كبير الشواعة (المحَاول) برد السلام والتحية على المرحبين من أهل العروس، فيرد عليه كبيرهم التحية بمثلها، ثم يتبادلان الأسئلة والأجوبة حول الأخبار والأحوال التي تهم الطرفين.

وتعد (المحاوله) من المراسيم الهامة التي يوكل أمر القيام بها لأشخاص ضليعين بها من الشعراء أو كبار السن ممن يحفظون نصوصها غالباً عن ظهر قلب لتكرارها دائماً في مثل هذه المناسبات مع تغيير طفيف يمس بعض العبارات بما يتوافق وطبيعة الأخبار المستجدة التي يراد السؤال عنها. ونقدم هنا نموذجا[3] يكاد يكون متقارباً في صيغته في مختلف المناطق اليافعية.

فقد يطنب (محاول) شواعة العريس، عند إجابته على السؤال عن الأخبار فيسردها سجعاً ذاكراً أخبار الثمار والأمطار والأسعار وأخبار

(١) ظبياني: نسبة إلى شجرة الظبيان وعسلها أبيض (مَرْو).
(٢) في اللغة الفصيحة، المُحاولة: طلب الشيء بحيلة. وحاول: أراد الشيء وطلبه.
(٣) انظر: محسن بن محسن ديان، يافع بين الأصالة والمعاصرة. إصدار منتدى يحيى عمر الثقافي. ١٩٩٥م ص ١٠٤.

البحار (يقصد بها الأخبار الدولية). وقد يختصر مضامينها بالقول: "أخبارنا سكُون والشّر مدحُون، جينا على سنة الله ورسوله لأخذ بنتكم صاحبة الشرف المصون والدر المكنون لابننا صاحب المعالي، الفتى المفتون، ومعه حمران العيون، لفرض مقضي ومسنون، بعون الله نقضي الشّف، وفي كرمكم راجون، نسهر ونسلى معكم، وغداً راجعون".

ويأتي تعقيب (محاول) أهل العريس: "حيًا وسهلا بالقادمون، في ديارنا والحصون، مع فتاكم صاحب المقام الميمون، وبأذن الله نقضي لكم شَفِّكم وما تطلبون، وذي من أجله وصلتم في الحفظ والصَّون، وفي الضَّبْر مركُون، والليله على السَّعه ترحبُون، سلَى ورقصه ولله في خلقه شئون، مُكَرَّمُون مع وافر السعاده والبنون، والصهاره باقيه أولون ولاحقون، والله على ما نقول وأنتم شاهدون".

وقد تكون هذه الصيغة مختصرة، فيكتفي محاول الشواعة القادمين بالقول رداً عن السؤال عن الأخبار: "الأخبار سكُون والشر مبعد ومدحون، ولا علم إلاّ ما يسركم ويرضيكم، جيناَ لأمانه عندكم على سنّة الله والرسول". فيرد عليه كبير المستقبلين، على سبيل المثال: "أهلا وسهلا بكم، البيوت مفتوحة، والشياه مذبوحة، والعصيدة مقدوحة". وإذا كان الزواج داخلي، من الأسرة أو من داخل القرية، فأن طابع (المحاولة) يختلف، وتغلب على مضمون الحوار الدعابة والطرافة بغرض التسلية والمزاح، إذ لا حاجة للسؤال هنا عن الأخبار، طالما يعيش الجميع في نفس القرية، وقد يكون الحوار طريفاً للتسلية والمزاح،على سبيل المثال:

- كبير المرحبين: أهلاً وسهلا، ويش جابكم لا عندنا؟
- كبير شواعة العريس: جيناكم نخذ أمانه مطروحه عنكم، إن باتدّوها على سنة الله والرسول والاّ خذناها بالصميل.

- كبير المرحبين: ما عندنا لكم شيء، ولكن أهلا وسهلاً، وعشاكم سيكون بمكان الفلاني (ويذكر مكان بعيد) وسلامتكم.
- فيردد الشواعة بزامل جماعي وهم يتجهون إلى البيت وكأنهم يقتحمونه عنوة:

رَحِّب وقُل حيّا ميه   وإلاَّ فقد جينا لها

وبعد المحاولة

إذا كان شواعة العريس سيعودون مع العروس في نفس اليوم فإن أسلحتهم تبقى بحوزتهم، أما إذا كانوا سيقضون ليلتهم في بيت أهل العروس وتكون عودتهم في اليوم التالي فأن المستقبلين (يسلبونهم أسلحتهم) أي يحملونها نيابة عنهم كتقدير واحترام وتعلق في معالق (مفردها معلاق) وهي خاصة بالأسلحة وغيرها ولا يخلو منها البيت اليافعي.

ويدخل الضيوف ومعهم المستقبلين إلى البيت ويتخذون مواقعهم في المجلس (المَفْرَش)، ويتناول الضيوف أولاً ثم بقية الحضور وجبة العشاء المكونة من اللحم والمرق والعصيد - قبل أن يدخل الرز كصنف من الأطعمة الرئيسية - وكانت اللحمة تقسم إلى قطع وتسلم لكل شخص إلى يده، وقد يأكلها بعد العصيد أو يحتفظ بها إلى وقت متأخر، وجرت العادة أن تكون قطع اللحم الخاصة بالضيوف أكبر، أما العريس والعروس فتخصص لهم لحمة الساعد ليسعدوا ويتقوى ساعدهم، كما كانوا يعتقدون. وتخصص نصف رِجْل من لحم الخروف لمن قامت بطهي الطعام من النساء.

الفداء على العروس

بعد وصول الشواعة تتم -في كثير من المناطق- مراسيم الفداء على العروس المصحوبة بأغاني الهدان، في غرفة كبيرة داخل البيت (المَفْرَش) وقد تصطحبها النساء إلى ساحة بجانب البيت، إن لم تكن هناك سعة في غرف المنزل، وتجلس على حصيرة أو لحاف وهي متجهة إلى ناحية القبلة، وتتواصل معها خطوات تقديم (الفدية) ذاتها التي تتم مع العريس. وبعد أن تعود العروس إلى مكانها، ترتفع أغاني الهدان الموجهة إلى مرافقي العريس من الشواعة:

ألاَ وا هداني   من هو كبير الشواعه... هدان

ألا وا هداني   من هو ذريع الغزاله... هدان

ألا وا هداني   كُلاً جميله من أيده... هدان

وتلبية لهذا النداء يتقدم كبير الشواعة والذريع وأقارب العريس فرادى ويضعون هداياهم من أنواع البخور التي تختلف كمياتها بين شخص وآخر، وكل من يتقدم منهم يذكر الشاحذ اسمه،كما تكرر النساء ذكر اسمه في الهدان:

ألاَ وا هداني (فلان) وصلنا جميله... واهدان

وهكذا يستمر الهدان، إلى أن يستكمل دخول الشواعة أو معظمهم، ثم يأتي دور طلب الحريو للدخول، فتخاطبه النساء بأغنية الهدان الموجهة إليه:

ألاَ حريو اقرب تقارب، طَرَّبوا لك بالأمان

طربوا للناس شهرين وانت لك طول الزمان

وبمجرد سماع هذا النداء، الذي ينتظره العريس بشوق يدخل إلى المكان الذي تجلس فيه العروس، سواء في جانب من الغرفة أو على (الهِدهْ) وهي مصطبة مرتفعة في الغرفة، وتفسح له النساء الطريق ليجلس بجانبها، وتكون العروس في هذه اللحظة مغطاة الرأس والوجه بمنديل شفاف تراه من خلاله دون أن يرى ملامحها. وفي هذه اللحظة تطلب منها النساء النهوض استعداداً لمغادرتها برفقة العريس، من خلال الأغنية الموجهة لها:

ألاَ هـدِّي هـداش الله   خُـذي قرشين عاهـدّه
الاَ وا نخلـه اشـتلي   وجهـدا مـا قـدر يـشتل

وتتأهب العروس في هذه اللحظات لمغادرة بيت أهلها وتوديع ذكريات الطفولة والصبا إلى بيت الزوجية. وقد يتأخر خروجها إلى اليوم التالي حسب الاتفاق.

زفة الحريوة (العروس)

تسمى الزَّفة في يافع (المسَايَرَهْ) وتبدأ مراسيمها مساء يوم الزواج نفسه أو في صبيحة اليوم التالي، بمقتضى الاتفاق أو العادة المتبعة في هذه المنطقة أو تلك. وتخرج العروس من بيت أهلها بموكب احتفائي، تحيط بها اثنتان من أجمل قريباتها بكامل زينتهن، فتمسك إحداهن بيدها اليمنى والأخرى بيدها اليسرى وتظل العروس مغطاة بمجول شفاف يغطي رأسها ووجها ويديها، وأمامهن وبجانبهن تتجمع النساء على شكل صفين طولياً مفسحات الطريق أمام العروس ومرافقاتها، ومنهن من تحمل المباخر (المجامر، أو المقاطر) التي تنتشر منها في الأرجاء أعمدة أدخنة البخور، فيما تصدح الزغاريد (المحاجر) والأغاني

الخاصة بـ(المسايرة)، ويكون مكان العريس (الحريو) وراء العروس مباشرة وحوله الأصدقاء والرجال لمشاهدة الموكب الذي يكون في مقدمته (الشاحذ) وتليه حاملات المباخر، وكان موكب الزَّفة – قبل دخول السيّارات – يسير مشياً على الأقدام وعلى ضوء القمر، أو على ضوء الفوانيس، إن كانت الليالي مظلمة.

وفي لحظات الوداع المؤثرة التي تمتزج فيها مشاعر فرحة الأهل بزواج ابنتهم بالحزن على فراقهم لها، تردد النساء أغنية الهدان المعبرة عن هذه اللحظة:

قالـه البيـضاء كرمتـوا   يـا أهـل ذه الحَـوزَهْ جميـع
واكرمـك وابَـهْ حيُـودي   واكـرمش يـا الوالـده
ألا يـا بـه كُثُـر خـيرك   ورَعْ مفتـاح مخزانـك
ألاَ مـا عادنـا بنتـك   ألاَ مـا اليـوم بنـت النـاس

وفي العادة يسير موكب الزفة بحركة بطيئة، لكنها مليئة بالفرح والأهازيج والزغاريد النسائية المصاحبة، وتزداد هذه الحركة بطئاً كلما كانت المسافة بين بيت أهل العروس وبيت العريس متقاربة، لكي تستغرق الفرحة وقتاً أطول، بل أن مثل هذا السير البطيء تعبر عنه الأغنية النسائية التي تطلب من العروس أن تقسِّم خطواتها أخماس أو أسداس أو أعشار:

ألاَ سـيري، ألاَ سـيري   خطيـوه قـسميها اسـداس

وأثناء سير الموكب تختلط أصوات الزغاريد النسائية وأغانيهن بدقات الطبل وكذا بأصوات الأعيرة النارية التي تطلق في الفضاء بين الفينة والفينة وتزداد مع اقتراب الموكب من بيت العريس.

وفي منتصف الطريق، يكون على النساء المرافقات أن يعدن أدراجهن، بعد وصول المستقبلات من أهل العريس، اللاتي ينتظمن في صفين ويكملن توصيل الموكب بنفس المباهج من الأغاني والبخور، أما المرافقتان الشخصيتان للعروس فيبقيان ويكملان المشوار وهن ممسكات بأيدي العروس عن يمين وشمال حتى وصولها إلى منزل العريس، ولن يعدن إلاَّ بعد إيصالها، وحصولهن على هدية عينية أو مبلغ من المال من العريس لقاء مرافقتهن للعروس.

أما في حالة أن تزف العروس إلى قرية أخرى بعيدة، فإن الموكب المرافق يستمر لمسافة قريبة لا تتجاوز أطراف قرية أهلها، ثم تركب العروس على جمل إن كان ذلك متيسراً، أو تسير مع المرافقات والمرافقين مشياً على الأقدام، إلى أن تصل أطراف قرية العريس حيث تكون النساء المستقبلات من أقارب العريس في انتظارها، ويتواصل موكب الزفة بنفس المراسيم حتى وصوله باب بيت العريس. وتردد المستقبلات أغنية الهدان الترحيبية بالعروس:

ألاَ يا مرحبا حيّا … عسى والخَطْ تِيْ العنوان

والخط باللهجة اليافعية يعني الرسالة، وتِيْ بمعنى مثل. أي أن النساء في هذه الأهزوجة يتمنين أن تكون العروس بمستوى جمال لباسها الفاخر والجذّاب.

عند وصول العروس إلى بوابة بيت العريس تتثاقل في مشيتها وقد تتوقف وتأبى الدخول، في انتظار ما يسمى (الدحّاقه)، وهو أن ينحر أهل العريس خروفاً قبل دخولها كفداء، وتغني النساء في تلك الأثناء مؤازرات لها في مطلبها هذا:

ألاَ لا تدخلين الدّار … ألاَ إلاَّ بحتّامه
ألاَ وإلاَّ ذبح لبش ثور … والاَّ كَبش ردماني
ولش بُنَّه ولش قاته … ولش حَبْلَين بالمسنى

وفي الحال يقوم (الشاحذ) بنحر خروف على مردم السدّة، فيما تنثر أم العريس كمية من حبوب الذرة والبُن على رأسي العروسين، وجرت العادة أن لا تدخل العروس إلاَّ على الدم للاعتقاد بأن ذلك يصرف عين الحسد وشر الشياطين. وقد تطأ العروس بقدمها اليمنى على جسد الخروف المسجى فيما تخطو باليسرى إلى الداخل، وتقوم حماتها (عمتها أم العريس) بغسل قدميها، وأثناء ذلك تنطلق المحاجر والأعيرة النارية في الهواء. وفي هذه الأثناء تردد النساء:

ألاَ يا أم الحريو ابدي … رَعي جَهَدَا وصل مهدي
ألاَ جهدا وصل مهدي … ورَوَّحْ مركب الهندي

ثم تستمر الزَّفة إلى أن تدخل العروس إلى الغرفة المخصصة لها، وهنا تقف دون أن تجلس أو تصعد إلى (الهدِةِ) حتى تستلم ما يعرف بـ(الحتَّامه) وهو مبلغ من النقود. وعندها تغير المسايرات صوت الغناء ليتناسب مع الزفة:

زفوا العروسة زفوها … بالعطر والورد رشوها
يا مرحبا بالعروسة … هي والعروس المثالي

وفي تلك الأثناء يتسابق العروسان في الوصول إلى المنصَّة (الهدة) ويكون السبق دائماً للعريس، رغم أنها كانت أمامه أثناء وصول الزفة.

وتبقى المرافقتان (المُسَايرات) بصحبة العروس بضعة ساعات وبعد إكرامهن بالأكل وإعطائهن أجرهن يعدن برفقة الرجال من أهلهن الذين كانوا ضمن الموكب.

وفي بعض المناطق – كلد كمثال – فإن المسايرات يبقين مع العروس حتى وصول الأم مع والدها وأخوتها وعدد من أقربائها حيث يصلون في اليوم نفسه ومعهم بضاعة العروس وعدد من الأغنام (غنم السَّوْق أو القَوَد)، ويستقبلهم أهل العريس بحفاوة وأول من يطلق الأعيرة النارية هو العريس نفسه، مبالغة في الترحيب بهم. ويأتون معهم بـ(بضاعة العروس) التي جاءت أصلاً من جهة العريس ويضيفون إليها من جانبهم بعض الأشياء، كقربة لجلب الماء و(مِحْتَاهْ) وغربال (منخل) ومَسْرَفَةْ[١]. وهم يأتون عادة بعد الغداء، لأن وليمة الضيافة الرئيسية ستكون على العشاء، وتكون مراسيم استقبالهم على نفس النسق الذي رأيناه عند استقبال أهل العروس لأهل العريس عشية (السَّداد) أو (كتابة الشاهد)، مع فارق أن العدد أكبر هنا وتصاحبهم الطبل والناي (القصبة، أوالشُبَّابة) في موكب الاستقبال للضيوف. ويلي ذلك خروج العريس (الحريو) إلى سطح البيت أو ساحة بجانب المنزل (وَصَرْ أو حَبِيْل) ويتجه إلى القبلة وتلي ذلك طقوس (فرقة الشعر) وحلاقته وتسريحته، كما هو متبع في مناطق أخرى قبيل خروج شواعة العريس يوم الزواج، ويفدى عليه بتيس وكذا النقود (الريالات الفضية) وحبوب الذرة أو الدخن أو البُن ويمتدح الشاحذ كل من يقدم فدية لأنها جميعها ستذهب له ولمساعده مقابل أجرتهما ويردد الوقفون

(١) القربة: تسمى باللهجة اليافعية (أرْبْ) وهي من جلود الأغنام. والمحتاه: هي ما تحمل بواسطتها القربة، وهي عبارة عن قطعتين من الحبال العريضة على شكل دائرة وتصنع من ألياف بعض الأشجار (النّبخ والسّني).

أثناء الفدية (حَريو حَريو). وفي النهاية يحمل الحاضرون العريس بين أيديهم ويرفعونه إلى الأعلى وهم يهتفون بصوت جماعي:

حريونا شاب   وَخْجِرَيْن له وابيض

وا طويلات الرقاب   والمال لك، واحريو

كما تتم بهذه المناسبة الرماية على (النَّصَعْ) وتسمى في بعض المناطق (أهداف الحراوى).

عشاء الزواج (يوم المَرْوَحْ)

يسمى ذلك اليوم الذي تصل فيه العروس إلى بيت زوجها بيوم (المَرْوَحْ) أي العودة إلى البيت بعد انتهاء مهمة الشواعة ودخول العروس إلى بيت الزوجية. وهو قمة الفرحة عند أهل العريس (الحريو)، فيما كانت قمة الفرحة في اليوم السابق له عند أهل العروس (الحريوه).

وكانت تقام في هذا اليوم الوليمة الرئيسية في بيت العريس المتمثلة بـ(عشاء الزواج)، لذلك تنحر الكثير من الأغنام والأبقار، وتزداد أعداد الضيوف لأنها تشمل شواعة العريس وكذلك شواعة العروس إلى جانب ضيوف العريس من الشواعة والجيران وأحياناً القرية بكاملها. والوجبة الرئيسية هي العشاء، حيث يتوافد الضيوف بدءاً من غروب الشمس. وينقسم الضيوف إلى قسمين:

أ- **الرِّفادة:** وهم الذين سبق أن وجهة إليهم الدعوة عن طريق (الشاحذ) وكانوا يأتون برِّفيدة[١]، هي عبارة عن نقود أو حبوب أو غنم. وكان أهل العريس يحفظون في ذاكرتهم كل رفد يصل إليهم، بما

(١) رفيدة ورفد: من الفصيح، بمعنى العون. رفده: أعانه.

في ذلك الخبز الذي تأتي به النساء، لأنهم سيردون بالمثل حينما توجه إليهم الدعوة في مثل هذه المناسبة من قبل الآخرين، وهذا شكل من أشكال التكافل والتعاون التي تخفف من الأعباء على أسرة العريس. وكانت قيمة الرفيدة تقدر بقرش فرنصة ويأتي عليه مجموعة أفراد، والرأس من الغنم يأتي عليه ٣-٤ أشخاص.

ب- الوَفَّادة: وهم من يفدون إلى الوليمة دون أن توجه إليهم الدعوة، وكان عددهم يزداد، خاصة في سنوات المجاعة.

كانت وجبة العشاء الرئيسية تتمثل بعصيدة من حبوب الذرة تطبخ باللبن تقدم في وعاء كبير مصنوع من جذوع شجرة السدر (العلب) تختلف تسمياته في مناطق يافع (مِقدام، كعده، قدح) وهو يكفي لعشرات من الأشخاص الذين يلتفون حوله لتناول العصيد على دفعات متتالية وكل دفعة تسمى (ردِهْ)، وعند تقديمها تنتزع من وسطها قطعة من العصيد فتتكون حفرة يطلق عليها (فجوة) وهي تملأ بالعسل والسمن أو بسليط الجلجل (زيت السمسم) وهو ما يسمى (خُصَار) ويقوم الشخص بقطع لقمة من العصيد ويسويها بيده اليمنى على شكل كروي ثم يضعها بين ثلاث أصابع (الوسطى والسبابة والإبهام) ويغمسها في الفجوة التي تحتوي على السمن والعسل أو زيت السمسم، أما ما يسمى بـ(النُشَّاحي) فهو صب كمية من السمن أو زيت الجلجل على مرق أو زوم أو صَعه يوضع على جوانب العصيد من أطرافها ويفت به العصيد قبل التهامه، وفي المثل "من سكت ما نشَّحوا له" وكان ذلك بمثابة أدام للعصيدة التي تقدم في صحون كبيرة بما يكفي لإشباع الضيوف المدعوين وغير المدعوين حيث يحتاط - في مناسبات كهذه- لأي عدد يزيد عن المتوقع، وكانت النساء في القرية يسهمن في إعداد

العصيد كشكل من أشكال التعاون المتبادل فيما بينهن في مثل هذه المناسبات.

وحسب ظروف ذلك الزمن كانوا يميزون الرفادة عن غيرهم من الوافدين، حيث تكون لهم الأولوية في تناول وجبة العصيد وإكرامهم بقطع اللحم التي كانت تقدم لكل شخص إلى يده بالتتابع أثناء تناول وجبة العصيد، وقد كان الشاحذ يقوم بتقسيم اللحم إلى قطع صغيرة في (الهِدِهْ) أو في غرفة جانبية (مُرَبَعَهْ أو علِّيهْ أو مُجَنَّبَهْ) ثم يسأل أثناء التوزيع عن الشخص الذي يصل دوره لاستلام اللحمة، فيرد عليه: رفَّاد، وقد يذكر اسمه فيعطه قطعة لحم جيدة تليق بمكانته. وان كان من الوافدين يقال له: وفَّاد، أو سمعها وجي، أي سمع بالمأدبة وجاء بدون دعوى فيعطيه قطعة أصغر أو قعطة عظم بها قليل من اللحم (عَرْمَهْ). وكانوا لا يأكلون اللحمة عند استلامها مباشرة، بل يبقونها في أيديهم اليسرى وبعد أن يفرغوا من أكل العصيد حتى الشبِّعْ يأكلونها. وفي بعض المناطق كانت تقدم أقراص الخبز الجاف التي تطهى بـ(الموفي أو الطابون) عوضاً عن العصيد، حيث يقدم لكل شخص قطعة لحم مع قرص من الخبز يأكلهما أو يربط عليهما في طرف الإزار (المَعْوَز) أوفي جيبه ويأخذهما معه إلى البيت.

وبعد وجبة العشاء لا بد من جولة جديدة من الرقصات، فهي عنوان الفرح والطقس الأكثر حضوراً في الأعراس اليافعية، ثم يتزاحم الحاضرون على الرقص وخاصة النساء، أو النساء مع أزواجهن أو محارمهن، ويحدث أن يرقص الرجال أو النساء على دفعات حتى يأتي الدور على الجميع. وهكذا فقد تستمر هذه الرقصات إلى منتصف الليل، بل وأحياناً حتى مطلع الفجر.

الفتّاشة أو الحتّامه

الفَتْشُ والتفتيش في لسان العرب: الطلبُ والبحثُ، وفتشت الشيء فتْشاً وفتَّشَه تفتيْشاً مثله. وفتش في اللهجة: فتح الشيء، أو أزاح الستار أو الغطاء عنه، وفي هذا المعنى يقول المثل الشعبي "لا تفتش مغطى ولا تغطي على مفتوش". والحتّامة من الشيء الحتمي، أي اللازم الواجب الذي لا بد من فعله.

والفتاشة عبارة عن مبلغ نقدي يدفعه العريس للعروس عند دخوله عليها للمرة الأولى في غرفة الزوجية. فبعد انتهاء أفراح ليلة الزواج، تدخل العروس غرفة الزوجية دون أن تنزع الحجاب عن وجهها ورأسها في انتظار (الفتّاشة)[1]، التي كان يتفق على قيمتها عشية (السداد)، وقد يترك تقدير قيمتها لشهامة العريس وكرمه. ولا مجال هنا للمساومة، فالعروس تظل صامتة، والحياء والخجل مرتسمان على محياها، وباستلامها (الفتاشة) تنزع النقاب عن وجهها من تلقاء نفسها وغالباً بمساعدة العريس، ويزاح بذلك الحياء بين الزوجين ويبدأن حياة زوجية طبيعية أساسها الود والاحترام المتبادل وطاعة الزوجة لزوجها واحترامها لأهله. والمبلغ الذي تحصل عليه العروس قد تحتفظ به لنفسها وقد تسلم جزءاً منه لأمها حين تأتي للمشاركة في مراسيم يوم (البِرَاكْ). وفي بعض المناطق تدفع الحتّامه أو الفتّاشه للعروس عند دخولها سدّة بيت الزوج.

ولا توجد في يافع تلك العادة السيئة التي نجدها في بعض مناطق اليمن، أو في بعض الدول العربية، والتي لا تنتهي ليلة الزفاف

(١) الفتّاشة: تعني فتح الشيء، وهي تعني هنا رفع الغطاء (المَجْوَل أو الدسمال) وتسمى أيضاً (الفتحه).

بوصول العروسين إلى مخدعهما، بل تبقى الاحتفالات في الخارج مستمرة، انتظاراً لفض بكارة العريس وعرضه لقطعة القماش البيضاء (الطرحة) مبللة بدم غشاء البكارة، فتطلق الأعيرة النارية وتنطلق معها الزغاريد احتفاء بسلامة شرف ابنتهم.

يوم البِرّاك

جرت العادة في جميع مناطق يافع أن يكون اليوم الذي يلي يوم الزواج يوم راحة كاملة ويسمى في بعض المناطق (أَوْن- غَون)، ومثل هذه الراحة أمر طبيعي بعد يوم حافل بالجهد ومليء بطقوس الفرح والغناء والرقص التي لم تنته إلاَّ في وقت متأخر من المساء. وعقب يوم الراحة يحين موعد (يوم البراك) وهو آخر أيام الزواج التي تتوج فيه الأفراح العامة لسكان القرية والضيوف من القرى المجاورة أحياناً.

وفي صباح يوم البراك كانت أم العروس تأتي ومعها هديتها من الطحين والخبز ويذبحون رأس من الغنم أو أكثر وتستمر ضيافة أهل العروس يومين. وعادة تكون الأم أو اخت العروس هي (المُصلِّحِهْ) التي تقوم بتزيينها صبيحة يوم البراك، حيث تأتي معها بما يلزمها من أدوات الزينة وتختار لها أجمل الثياب مما أهداه لها العريس أثناء الضيفة، وتسعى جهدها لإظهارها في أجمل زينة وأحسن حلّة، سيما وأن جميع نساء القرية وفتياتها سيجئن أيضاً بكامل زينتهن وبأجمل ثيابهن وكأنهن في معرض تنافسي للجمال، وكل منهن تسعى لأن تكون الأجمل. ومع ذلك فأن أنظار جميع سكان القرية نساءً ورجالاً تتجه إلى العروس (الحريوة) لرؤيتها وهي تزدان بكامل زينها، حيث توضع لها منصة على (الهدة) أو مكان بارز في المجلس (المفرش)

تظهر فيه أمام الجميع وهي جالسة ويديها المزدانتان بنقوش الحنا وبالحلي الفضية مضمومتان على ركبتيها وقد نزعت عن وجهها النقاب (المجول) وتبدو في هيئتها كالملكة المتوجة في عرشها وعلى رأسها أكاليل من الزينة، وفي هذه المناسبة يراها الناس بدور الزوجة لأول مرة، بعد أن عرفوها من قبل بمظهر الفتاة.

ولعل لتسمية يوم البراك بهذا الاسم صلة بالمباركة للزوجين بهذه المناسبة السعيدة. فالنساء يتوافدن بعد الغداء مباشرة على بيت العريس للتهنئة والمشاركة في الرقص ويرددن الأغاني التي تحمل طابع التهنئة:

سلام يا أهل الزواجه بارك الله لكم
بارك لكم في زواجتكم وفي بيتكم

وكل امرأة تدخل وهي متشوقة لرؤية العروس تقول منبهرة بجمالها وهيئتها "ما شاء الله، الصلاة على النبي". وحتى تلك العروس التي تبدو على قدر من الجمال لا بد أن تستمع إلى كلمات الإطراء من قبل المهنئات، لكنهن قد يتهامسن ويتغامزن خلسة فيما بعد إن كانت العروس غير جميلة.

وفي غرفة أخرى في البيت أو في ساحة مكشوفة بجانبه يتجمع الرجال لتهنئة العريس والمشاركة في حلقات الرقصات الرجالية على ضربات الطبول وأنغام الشُبّابَة أو القصبة (الناي) وتبدأ هذه الرقصات من بعد الظهر وتستمر حتى غروب الشمس. يحدث أن يكون الشوط الأول من الرقص من نصيب المَعْنِيَين بالمناسبة وأكثر الناس فرحة بها، وهما العريس والعروس، حيث يتم استدعائهما ويرقصان أول

رقصة مشتركة لهما كزوجين جديدين، فيما ترتفع أثناء ذلك الزغاريد والأغاني المهنئة والمباركة لهما بحياة زوجية سعيدة.

وتسمح التقاليد للجميع أن يلقي نظرة على العروس في يوم (البراك) حيث يدخل الرجال فرادى لمشاهدتها، وقد يلقون نظرة عليها من الباب ثم يغادرون لازدحام الغرفة بالنساء، وقبل المغادرة تضع نساء من أهل العريس مسحوق الطيب المعروف بـ(الفحوس) على رؤوسهم، وكذلك يفعلن مع النساء ومع الصغار أيضاً.

وفي الوقت الذي يؤدي فيه الرجال رقصاتهم، كانت النساء تنتظم في صفين متساويين متقابلين ويبدأن ألعابهن بترديد أبيات شعرية يرتجلها الشعراء الشعبيون بأصوات غنائية ترافقها الحركات الاهتزازية الموحدة.

وبانتهاء مراسيم البراك تنتهي الطقوس العامة للزواج، وتمكث العروس في البيت في فترة راحة تامة دون أن تغادره لمدة شهر أو أكثر أو أقل حسب ظروف الأسرة واحتياجها لعملها. وتلي البراك بعض المراسيم الخاصة بأسرتي العروسين وأقربائهما فقط.

الرَّدّه أو الخطرة

الرَّدة أو الخَطْرَهْ هي ذهاب العريس برفقة العروس مع بعض الأقارب إلى بيت أهلها لأول مرة بعد زواجهما، وهي تتم بعد الثامن مباشرة إذا كان أهل الزوجة في إطار القرية، أما إذا كان أهلها من قرية بعيدة فقد تطول هذه الفترة أو تقصر، حسب الظروف، وفي هذه الحالة فإن الزوج والزوجة ومعهما الأقارب يذهبون ومعهم رأس غنم أو عجل صغير (رضيع) مع هدايا مماثلة لتلك التي جاء بها أهل

العروس في الثامن ويمكثان من يومين إلى خمسة أيام، وقد يعود الأقارب والزوج بمفرده إذا كان مرتبطاً بأعمال مهمة وتبقى هي عند أهلها عدة أيام قبل أن يؤب إليها ليعيدها معه إلى بيته.

الثامن

الثامن هو مناسبة مجيء أهل العروس، خاصة الأب والأم، لزيارة ابنتهم بعد أسبوع أو أكثر، مع أن التسمية بـ(الثَّامن) توحي بأن الفترة ربما كانت محددة في زمن ما بعد ثمانية أيام.

وإذا كانت العروس (الحريوه) من خارج القرية فإن أهلها يأتون بما يسمى الضيَافة ومعهم عدة رؤوس من الأغنام (بمقدار رأس لكل شخصين) ويكون بعضها مذبوحاً والبعض الآخر يساق حياً (قَوَدْ) وكذلك يأتون بهدايا أخرى من حبوب الذرة والبر والطحين والزيت والتمر والجلجل والسكر والحلوى وأقراص الخبز (الشموط) وغيرها. وخلال مدة الضيافة التي تستمر من يومين إلى ستة أيام كان أهل العريس ملزمين أيضاً بأن ينحروا عدداً مساوٍ لرؤوس الأغنام التي جاء بها أصهارهم ولا تنتهي الضيافة إلاَّ بعد نحر هذه الأغنام جميعها.

وفي بعض المناطق كانت تقام رقصات مسائية على الطبل والشبَّابة أو القصبة خلال أيام الثامن، لا سيما إذا كانت الحريوة من خارج القرية، وهذا شكل من أشكال الاحتفاء بالضيوف من أهل العروس وفرصة سانحة لإشاعة الفرحة من خلال الغناء والرقص.

وكانت العادة أن لا تخرج العروس من بيت زوجها للمشاركة في مختلف الأعمال خارج المنزل إلاَّ بعد (الثامن)، لذلك كان الناس خاصة في المواسم الزراعية المثمرة يستحثون أهلها للوصول في

أقرب فرصة. وبعد الثامن مباشرة أو في أواخر أيامه وبتواجد أهلها تخرج العروس بكامل زينتها وبرفقتها نساء من أقاربها في طريقها إلى الطاحونة لطحن الحبوب أو إلى البئر لجلب الماء بالقربة (الأرْب) وتقوم أثناء ذلك بتوزيع قطع الحلوى على النساء والأطفال، وبهذا تبدأ رسمياً بتأدية مهامها الاعتيادية المألوفة كزوجة، تجلب الماء من البئر وتطعم وتحلب البقرة وتخض اللبن لاستخراج الدهن (السمن) وتذهب إلى المزرعة لجلب العلف للماشية أو إيصال الطعام إلى زوجها هناك وتذهب مع النساء للحطب... الخ.

طرائف

كان يحدث أن تكسر العروس هذه القاعدة وتخرج فجأة قبل (الثامن) لأمر ما تقرر فيه هي ضرورة خروجها لمساعدة الزوج أو الأسرة في أمر هام. ومن الطرائف التي تروى أنه في بعض المواسم الزراعية، خاصة الحصاد الذي يتطلب المشاركة الجماعية لكثرة الأعمال فيه أو عند جائحة الجراد التي تلتهم الأخضر واليابس وتلحق أضراراً كبيرة في المزروعات، ففي مثل هذه الظروف كان يحدث - أحياناً - أن تأتي نساء الجيران لزيارة العروس وهن يحملن القهوة أو خبز اللحوح أو الشموط وغيره فلا يجدنها في البيت لأنها تكون قد خرجت إلى المزرعة (الجِربة، الطين) للعمل هناك مع بقية أفراد الأسرة، فينتظرن وقد يعدن إلى بيوتهن قبل وصولها.

وهناك قصة مشابهة تلخصها أبيات شعرية فلكلورية تعبر عن نجدة المرأة لزوجها في الظروف الصعبة، فقد هجمت أسراب الجراد بكثافة وشراسة على حقول المزروعات وكانت الحاجة ماسة لأي جهد يزيح هذا الكابوس ويخفف من ضرره، فلم تجد الزوجة الصغيرة بداً

من الخروج في اليوم التالي للبراك لهَشْ الجراد، خلافاً للعادة التي تقضي بخروجها بعد الثامن، لشعورها أنها تستطيع فعل شيء مفيد إلى جانب زوجها في الذود عن المحاصيل الزراعية المعرضة للخطر، فما كان من الشاعر إلاَّ أن قال:

طَيْري خرج من خُلاقه	طَيْر عاده وَنِش
نفض زراره وعاده مقرطس	خط ما بع فتش
هشُّوا معه يا عويله وارحموا	من بالجراد ابتلش
حتى الجراد اسْتَحَى	من جربته وانتهش

ومن الطرائف التي تروى أن امرأة كبيرة السن جاءت إلى بيت الحريو لتوها من (المطْيَاب) حيث يتم تنقية الحبوب من الشوائب بمساعدة الرياح، وكانت تحمل كيساً صغيراً بين يديها فيه كمية من حبوب الدخن أو الذرة المحمَّطه، وأثناء رفعها له لتفديه على رأس العريس انحل الرباط فجأة لأنه كان غير محكم الوثاق فتناثر الحب بحماطه على رأس وجسد العريس فانتفض كالملدوغ يحاول جاهداً التخلص من لسعات الحماط الحادة، واستغرق منه ذلك وقتاً من لحظات فرحه وبدا في وضع لا يحسد عليه أمام الآخرين.

الفصل الرابع
أغاني الزواج

الأغاني من أقدم أشكال التعبير الفني التي عرفها الإنسان اليافعي، فهي تصاحبه في مختلف جوانب حياته وتعبر بمعانيها عن تجاربه الحياتية وتعكس مزاجه النفسي. فالغناء ليس فقط عامل ترفيه وتنفيس عن النفس إزاء صعوبات الحياة وقسوتها، ولكنه أيضاً باعث للأمل ومحفز للعمل ومؤنس في الوحشة أو الوحدة ومساعد في التغلب على هموم وصعوبات الحياة. وهكذا فأن الغناء كان ملازماً لليافعيين، رجالاً ونساءً، في كل عمل يؤدوه، أما الأفراح فالغناء هو عنوانها الرئيسي.

وقد امتاز الغناء اليافعي[1] إلى ما قبل أربعة عقود مضت بالطابع الفلكلوري التقليدي، الضارب في القدم، المستند على إيقاعات متناغمة مع الرقصات والألعاب الشعبية التي يؤديها الرجال والنساء والأطفال، ويعبِّرون من خلالها عن أفراحهم وأتراحهم، سواء في الأعياد الدينية أو حفلات الزفاف أو تلك المصاحبة لهم أثناء تأدية أعمالهم المختلفة وفي الطقوس الحياتية اليومية المتعددة. فالغناء يرافق أعمال البناء والعمل الزراعي، ولا يزال لكل موسم زراعي أغانيه المميزة التي يؤديها الرجال والنساء بصورة مشترك في كل موسم زراعي، كما أن للرعاة أغانيهم ومواويلهم الخاصة، وهناك الزوامل القبيلة التي تبث

(١) انظر: د.علي صالح الخلاقي: يحيى عمر اليافعي.. شل العجب.. شل الدان، دار جامعة عدن، ط ٢، ٢٠٠٦م. ص ٦-٧.

الشجاعة وتحض على القيم النبيلة في نفوس أبناء القبيلة في الحروب والمناسبات الاجتماعية الأخرى، وكذلك التراتيل والموشحات الدينية، وغناء وإنشاد القصائد في جلسات السمر أو الراحة بمصاحبة القرع على الطبول أو بمرافقة آلة ذات نغم إيقاعي. وهناك أغانٍ خاصة بالنساء تؤدى عند طحن الحبوب أو جلب الحطب أو الماء أو هدهدة الأطفال وتنويمهم، أو في حفلات الزفاف حيث يتدرج الغناء الذي تؤديه النسوة وتتنوع إيقاعاته في المراحل المتعددة لحفل الزفاف، كالهدان والزفة وإقامة صفوف خاصة للغناء المصحوب بحركات راقصة تردد خلالها الأبيات الشعرية التي يرتجلها الشعراء في حلبات الصفوف النسائية وغير ذلك. وكما أسلفنا فقد ظلت المرأة إلى ما قبل العقد الأخير من القرن العشرين لا تعرف الحجاب، تعمل في الأرض وتجلب الحطب والماء وتطحن الحبوب وتشارك في الأفراح والأعياد، حيث تؤدي الرقصات النسائية وتردد الأغاني المصاحبة لها سواء في المنازل أو في المهرجانات العامة أو الزيارات التي تقام في الساحات العامة المكشوفة.

ومن أهم معالم الغناء الشعبي في يافع أغاني الزواج التي تتنوع كلماتها وألحانها المرافقة لمراحل الزواج ومراسيمه المتنوعة. فقد كان الزواج بمراسيمه وأفراحه عيداً، ليس لأسرتي العريس والعروسة فحسب، وإنما للقرية بكاملها، بل وقد يحضر أفراحه ضيوف من القرى المجاورة، وفي هذا المعنى يقول المثل الشعبي اليافعي "العرس لأثنين والفرح لميتين". وكان الزواج اليافعي يتميز بالأغاني الجماعية التي تؤديها النساء، ورقصات البرع والزوامل الرجالية، وفي الرقصات التقليدية الأصيلة للنساء أو الرجال أو المشتركة بينهما والتي اختفى معظمها في الوقت الحاضر.

والأغاني التي كانت تصاحب مراحل ومراسيم الزواج اليافعي هي جزء من الغناء الفلكلوري العام المجهول النشأة، وهي ترانيم جميلة ضاربة في الجذور تجري على ألسنة العامة من النساء والرجال منذ أزمنة قديمة، يعود بعضها إلى ما قبل الإسلام، كما يتضح من بعض مفرداتها ومضامينها، كما في الأغنية النسائية "ألاَ واخرجي رجلش اليمنى وقولي يالخَضَر والياس"، ألاَ توحي بقدمها لفترة ما قبل الإسلام؟!. وكذا قولهن "ألا اتشلشلي قومي -ألا يا صعدة الرومي" أليس فيها دلالة على سيادة الروم قبل الإسلام؟. وتعد هذه الأغاني الشعبية إرثاً عاماً ظل ينتقل من جيل إلى جيل بكلماتها وألحانها مع ما يضاف إليها من تجديد وتطوير وتعديل في هذه المنطقة أو تلك خلال المراحل التاريخية المختلفة، وهي تدخل ضمن نطاق التراث الحي ويصح أن نصفها بـ"الفلكلورية" أو "الأغاني التراثية". وهي تمثل في استمراريتها حلقة الوصل بين الحاضر والماضي، وكثير منها تشترك فيه مختلف مناطق يافع وقليل تختص به هذه المنطقة أو القرية أو تلك، وهي تعتمد على الألحان المتنوعة والإيقاعات الراقصة التي تختلف باختلاف الحالة التي تؤدى فيها أو تعبر عنها، كما تختلف أغاني النساء عن أغاني الرجال من حيث الإيقاع وطبيعة الصوت، فللمرأة ما يتناسب مع صوتها الرخيم.

ومن دوحة ذلك التراث الخصب والأصيل نقتطف زهوراً يانعة تفوح بعبق التراث، اخترناها من مختلف مناطق يافع، وهي تعكس الحالة النفسية والعادات والتقاليد الاجتماعية.

من الأغاني التي تسبق الحنا بعدة أسابيع

جرت العادة في بعض مناطق يافع أن تبدأ النساء من أقارب العروسين بترديد أغاني (الهدان) قبل الزواج بفترة، تقل أو تزيد عن أسبوعين، سواء عند قيامهن ببعض الأعمال أو عند طحن الحبوب على الرحى أو أثناء سحق الهرد، بل وحتى عند طهي الطعام، وتؤدي النساء (الهدان) منفردات، حيث تردد كل واحدة منهن (الهدان) وكأنها تغني لنفسها، ومن تلك الأغاني:

نخدمش واذِهْ اَلْهَلِيَّهْ	وا سَبُوله باهيه
وا شُقيره وا رويِّهْ	وين كُنتي مسقيه
مسقيه في دار أبوها	والعسل له جانيه
بتتنا وا قصعة الطيب	وا هديه لا بعيد

والمعنى إننا سنخدمك أيتها العروس البهية الطلعة، التي تشبه السنبلة النظرة في الحقل، أو غصن الشقر الندي، وتشبِّه الأغنية الفتاة بوعاء الطيب (قصعة الطيب) التي تفوح بالروائح الزكية والتي يمكن أن تكون خير هدية إلى خارج القرية.

ومع اقتراب موعد الحنا، تأتي النساء إلى بيت العروس ويرددن أثناء ذلك وحتى ليلة الحنا، عشية الزواج، أغاني (الهِدَان) الجماعية، منها:

ألاَ جيت أخدمش	جيت من داري
ألاَ جيت أخدمش	جيت بالعاني
الا جيت أخدمش	ما حَدَا جَا لي
ألاَ جيت أخدمش	وا حَلا حالي

ومعناها لا يختلف عن الأغنية السابقة، فالنساء يؤكدن أنهن جئن لخدمتها خصيصاً وبصورة طوعية (بالعاني) دون أن يدعوهن أحد لمشاركتها فرحتها ويصفنها بالجميلة الحلوة المنظر (حلا حالي). وأثناء تأدية الرقصات النسائية تصاحبها أيضاً الأهازيج المناسبة لإيقاعاتها، على سبيل المثال:

رَعْ البُنّه قَبُوله وا كُلّ جاني	توثق بالصَّبَح لا تزقر بلِوْلاس
تأنّهْ وانتَدِبْ لك وا كُل زاجي	ولا تطلع صَبَحْ متْهَوِّي ونوَّاس

وكلمة (رَعْ) هي للفت الانتباه، والمعنى أنظر شجرة البُن اليافعي الشهير المثقلة بالثمار الكثيرة (قبول)، وتوثق أيها الجاني بالفروع القوية (صَبَحْ، أصبَاح) وتجنب الفروع الهشة أو الطرية (الأولاس). ومن ذلك قولهم في المثل الشعبي (لا تزقر الاّ بلصباح، رَعْ من زقر بالشّذب راح). وتأن لكي تحسن الاختيار أيها القوي البنية والمقتدر (الزاجي) وحذار من الأغصان التي يمكن أن تهوي بك إلى أسفل الشجرة.

ومن أغاني الحنا:

أغاني الحنا تكاد تكون واحدة في كثير من المناطق مع اختلاف طفيف في صيغها، ومن أشهرها:

على الحنا، على الحنا	ألاَ بسم الله الرحمن
على الحنا، على الحنا	ألاَ واخزَا الله الشيطان
على الحنا، على الحنا	ويهنا من تحنا به
على الحنا، على الحنا	تحنى خِيرْةْ اصحابه

تحنّا به صغير السن   وذي عاده بزَغْ نابه
على الحنا، على الحنا   نمر ينْهَم من اشْعَابه
على الحنا، على الحنا   جُويهل نقَّشْ اكفافه

ويلاحظ هنا أن أغاني الحنا تستهل بشكل عام بسم الله الرحمن الرحيم الذي تستفتح به كل الأعمال، والدعوة أن يفضح الله الشياطين ويجنب الناس من شرورهم، ثم تقدم التهنئة للعروسين صغيري السن، ويوصف (الحريو) بالنمر الذي ينهم بصوته من فجاج الشعاب الجبلية، فيما توصف (الحريوة) بالجويهل أي صغير السن الذي ازدانت كفيه بنقوش الحنا.

وعلى لسان أم الحريو (العريس) تردد النساء:

ألا بسم الله الرحمن   ألا وا يبْعِدْ الشيطان
على الحنا على الحنا   وذا حنّا حنش ثعبان
ألاَ يا من خدَم مالي   سَلَفْ والاَ قضا يا ناس
ألاَ من كال بالصِّيني   ألاَّ با خلِّصَهْ بالكاس

والمعنى أن أم الحريو (العريس) تعتز بابنها الذي تلقبه الأغنية بـ (حنش ثعبان)، وهو وصف يتسق مع المألوف في وصف الرجال، فالأسد والسَّبع والنمر والحنش صفات تطلق على الشجاع. وتذكر الأم النساء المشاركات في الغناء أو في خدمة العريس (ألاَ يا من خدم مالي) أي أن من جاءت للمشاركة في هذه الفرحة إنّما جاءت لتسجل دين على الأم ينبغي لها أن تقضيه في فرحة قادمة أو أن الأم تسترد ديناً لها من قبل بعض المشاركات التي سبق للأم أن قدمته لهن في

فرحة مماثلة عند زواج أولادهن، وهكذا هي الحياة تعاون وتكافؤ وأخذ وعطاء، بل أنها تؤكد بأنها سترد الجميل مضاعفاً ومن كال لها بالصيني (الفنجان) فسترد له بالكأس.

ونورد هنا مجموعة مختارة من تلك الأغاني المرافقة لخروج الحنا في بيت الحريو، على صوت آخر، وقد تختلف الكلمات هنا وهناك لكن اللحن هو عام ومشترك في مختلف المناطق والمضمون متشابه في معناه العام:

بسملوا يا ذي حضرتوا   وألف صلوا عالنبي
بسملوا باسم النبوة   واسم بن طالب علي
حوّطوا جَهْدَا بياسين   من عيون الحاسدين(1)
باركوا لأهل الزواجه   والعروسين قبل حين
واطلعوا الحنا لجهدا   وا طلوع العافيه
شقروا جَهْدَا بورده   والغصون الراويه
وا نزف المُهْر لحُجَل   ذي لقط واتخيَّرْ
مُهْرْ خِلِّيْ ذي تخيَّر   واجْلَبَهْ من بندره
ما على جَهْدَا غُلابه   لا دفع فيه أعشره
بسملي يا أمَّهْ على اخّيْ   واطرحي جنبه كتاب

(1) جَهْدَا: وصف يطلق على العريس.

واطرحي مُرْ الحبيشي — حكحكي له كل باب(١)
بنت عماته وعمه — زوَّجُوا حسناء لشاب
شابنا يسوى محطه — شاب واخوانه شباب
يا اخدمك خدمه بعيني — خدمتك عالعافيه
يا أخدمك قد جيت عاني — ذي عليَّا مقديه(٢)
يا عُبَاد اسْلا تِنَهْجَرْ — سَوْ عالسَّوداء حجر
عاد أبوك الجِيْدْ لَعْصَرْ — با يوفي ما قصر
ذي يرد اليابس اخضر — وان عَصَرْ حَبْل اعتصر
جيت عاني رد بالدّان — لا محلك والمكان
يا أخدمك وا ذيب سرحان — ذي بتعدي عالسمان
يا اخدمك يا أخّي وعيني — في صباحي والعشي
يا اخدمك عافية راسك — خير لي من كل شي
يا اخْدُمك بسعد خُوتك — نابلين الروميه
والمضلَّع والبلاخي — كسب ما هي حاليه(٣)

(١) مُر الحبيشي: من أنواع الطيوب. حكحكي له كل باب: اطرقي كل الأبواب
(٢) جيت عاني: جئت خصيصاً. مقدية: بمعنى واجب، أو شيء يلزمني تجاهك.
(٣) الروميه، المضلّع، البلاخي: أسماء أسلحة قديمة.

واطلعوا حنّا لَجَهْدَا — واطلوع العافيه
واطلعوا حنّا لَجَهْدَا — قبل تحمى الهاجره(١)
تفرح أمَّه يوم تسمع — خدمته والمحجره
واخدمينه يا خواته — يا بنات اعْمُومته
وا تقع حَفَّه وزَفَّهْ — باركُوا له يا اخوته
قرِّبُوا له ما يريده — يا الحيور الظاميه(٢)
فرِّشُوا من شان جَهْدَا — عاهِدِهْ مُخْمَل حرير(٣)
وا يرَوِّحْ ظبي عامر — وا يحُطَّه عالسرير

ومنها أيضاً على صوت آخر يخاطب الحريوة:

ألاَ نَعِيْمْ وا ذِيْ جَعيْدش أيَّدْ الفاليه
وا ساعة الزين
ألاَ نعيم سِيْنِهْ بسِيْنِهْ عاالجنوب الحسان
وا ساعة الزين
ألاَ نعيم وا لُوْل وا مِرْجَان عالعافيه
وا ساعة الزين

(١) الهاجرة: اشتداد الحر عند منتصف النهار (فصيح).
(٢) الحيور: الحيّات، جمع حيّة.
(٣) الهدة: موضع النوم في البيت اليافعي.

تخاطب الأغنية العروس.. ألاَ لتنعمي برغد العيش وحسْنِ الحال أيتها العروس ذات الشعر الكثيف (الجعيد) الذي أخَّر المسرحة التي تمشطه وترتبه (أيّد الفالية) بسبب كثافته، ولتنعمي بتلك الضفائر الكثيرة التي تتدلى على الكتفين (الجنوب).. نعيم لك أيتها اللؤلؤ والمرجان.

ومن أغاني الحنا أو (التلجين) كما يسمى ببعض المناطق:

بسملوا ياذي حضرتوا	والف صلّوا عالنبي
بسملي يا أمَّهْ عليَّا	واطرحي جنبي الكتاب
على اللَّيْجَنْ على اللّيجَنْ	ويسلم من تلجَّن به
تلجَّن به صغير السن	وذي عادة بزغ نابه
ألا ياسين من عيني	ومن أعيان خلق الله
بسملوا على حبيبي	وألف صلوا عالنبي

ومن أغاني الهدان المصاحبة لمراسيم الحنا:

واطلعوا الحنَّا لجَهْدَا	يا طلوع العافيه
رحبي بالغصن لخضر	والغصون الراويه
بنتنا تسوى محطَّه	في ثمنها غاليه
رحبي حيّا وسهلا	كل خطوه في ميه
رحبّي زوجتش أخّيْ	من رجال الباديه

بارك الله لش بجهدا	بالهنا والعافيه
مرحبا يا بنت لُجْوَاد	في شروعش وافيه
مرحبا بش جابش الله	والعَمَدْ عالتاليه

وعند مغادرة الشواعه:

بعد أن يتجمع الشواعة بجانب منزل الحريو استعداداً للتوجه إلى بيت العروس تردد النساء أهزوجة وداع الحريو على لسان أمه التي تستودعه الله وتترقب عودته مع عروسته بشوق كبير، ولا تنسى أن تقول لمرافقيه أنه أمانة في أعناقكم فسيروا به سيراً رويدا واحرصوا عليه من كل مكروه يعترض طريقه، الحجارة (الحصأ) والريح (النويدا) ومن أشعة الشمس الحارقة:

يا هِدَاني.. مالي مع الله وداعه	يا هِدَاني
يا هِدَاني.. مالي معاكم أمانه	يا هِدَاني
يا هِدَاني.. سيروا بِهالي رويدا	يا هِدَاني
يا هِدَاني.. من الحصا والنويدا	يا هِدَاني
يا هِدَاني.. بالشمس سوّوا له ظلاله	يا هِدَاني

وعند وصول شواعة العريس:

عند وصول الشواعة إلى جانب بيت العروس يتم استقبالهم من قبل الرجال بالزوامل الترحيبية (انظر الزوامل)، كما تستقبلهم أم العروس ومعها بعض النساء بالبخور، فيما تردد النساء من على شرفات وأسطح المنازل بأغنية (الهِدَان) التقليدية التي تستهل باسم الله

وبالنبي وصحابته ثم ترحب بالشواعة وبالحريو ترحيباً كثيراً يوازي عدد نجوم السماء في تلك العشية، ويطالبن عمته أن ترحب به وترش طريقه بالعطر والرياحين، ويشبهن العريس بالصقر (السافع) الذي جاء ليستأثر بالحمامة (العروس)، ويصفنها بالهليّة، أي التي عاشت في رغد ويسر ولم تعرف الشقاء:

وا هِدَاني.. بسم الله ابْدَأ بلأسام	هِدَان
وا هِدَاني..وبالنبي والصحابه	هِدَان
وا هِدَاني.. يا مرحبا وألف مَرْحَبْ	هِدَان
وا هِدَاني.. وا مرحبا مَرْحَبيّه	هِدَان
وا هِدَاني.. عِدِةْ نجوم العشيّه	هِدَان
وا هِدَاني.. يا عَمّته رحبّي به	هِدَان
وا هِدَاني.. بالعطر رُشّي طريقه	هِدَان
وا هِدَاني.. حيّا على الرأس والعين	هِدَان
وا هدَاني.. يا مَرْحَبَا بالشّواعه	هِدَان
وا هدَاني.. من هو كبير الشّوَاعه	هِدَان
وا هِدَاني.. مثل المشوره غيامه	هِدَان
وا هِدَاني.. سافع ومن بين سُفَّع	هِدَان
وا هِدَاني.. سَيَّب وشَلّ الحمامه	هِدَان
وا هِدَاني.. يا بنتنا يا هليه	هِدَان
وا هِدَاني.. بنتنا ما تعرف شقيّه	هِدَان
وا هِدَاني.. سقي الشقر لا حبوبه	هِدَان

وعند الرماية:

وأثناء رماية (النَّصَع) من قبل شواعة الحريو وشواعة الحريوة (المرحبين) تردد النساء الأغاني، منها هذه الأغنية التي تتحدث عن العريس الذي جاء مزهواً بعمامة حرير خضراء على رأسه، وجاء معه بالهدايا الثمينة محمولة على سبعة جِمَال، تشتمل على كل ما غلي ثمنه من اللؤلؤ والزهور والورود والطيب والبُر والتمر والعسل والكساء البيحاني الشهير، وخصص أحد الجمال للغزالة التي جاء موكبه من أجلها خصيصاً.

ألاَ صوت الحريو اقبل	على راسه حرير اخضر
ألاَ سبعه جِمَال ادّى	ألاَ من كل شي غالي

وأثناء الأفراح المسائية تردد النساء أغاني الهدان التي لا تنسى الترحيب بالضيوف:

يا هِدَاني حيّا بمن جا على الرأس	ألاَ يا هِدَاني
يا هِدَاني ألاَ فوقه شقر والتفحّاس	ألاَ يا هِدَاني
يا هِدَاني ألا ما بين لَحْذ ولَثْنَيْن	ألاَ يا هِدَاني ألاَ
يا هِدَاني ألاَ وبالمصاحف ولقلام	يا هِدَاني

وعقب الهدان تعقد النساء ألعابهن التقليدية في صفين متقابلين وهن يرددن أبيات شعرية للشعراء المتبارين فيما بينهم وتستمر حتى وقت متأخر، ثم يعُدن لترديد أهازيج مشابهة للهدان السابق، لكنها موجهة في هذه المرة للذريع، وفيها وصف لبضاعة الحريوة:

ألاَ يا هِدَاني وادْعُوا لنا لا ذريع أُختي   ألاَ يا هِدَاني
ألاَ يا هِدَاني ألاَ قولوا له إنّا نبا المِقْدِي   ألاَ يا هِدَاني
ألاَ يا هِدَاني ألاَ قبضته ما وقرت سني   ألاَ يا هِدَاني
ألاَ يا هِدَاني ألاَ عصيدته مِسْحة الرُّبعي   ألاَ يا هِدَاني
ألاَ يا هِدَاني ألاَ عصيدته جُوْدَهَا رِبْعِي   ألاَ يا هِدَاني

وعلى صوت آخر قرب خروج الحريوة وكأن الأغنية موجهة لها:

وا هُدْهُدي زِلْ صوتك   هدَّدتني من منامي
الليله الغُصن عندي   والقابله في بلاده

وعلى لسان الأم:

عا كُنت بسرح وبَاوي   شَلّوا حمامة فؤادي
الوالده ويش قاله   قاله بعافية مالي

أغاني مرافقة الحريوة عند خروجها من غرفتها في بيت أهلها:

ألا اتشَلْشَلِي قومي   ألاَ يا صَعْدِةْ الرّومي
ألاَ واخرجي رجلش اليمنى   وقولي يا الخضر والياس
ألا تَخَطري في صِرُوح أهْلِشْ   وما ادْوَهْ في صروح الناس
ألاَ واسرحي وازقري بالله   وقولي يا الخضر والياس
ألاَ وازقري به وا ضُمَاري   قد زقرنا به جميع
ألاَ واسرحي وازقري بالله   من زقر به ما يضيع

ألاَ خرجتي بالقدم ليمن   وقولي يا النبي لزهر
ألاَ خرجتي من سدة اهلش   ولا باب الله الواسع
ألاَ واسرحي وازهرة الصبح   ذي من المشرق بدت
ألاَ قاله الفنّيه ياسين   دمعة أُمِّي قبتسيل

وفي لحظات الوداع المؤثرة التي تمتزج فيها مشاعر فرحة الأهل بزواج ابنتهم بالحزن على فراقهم لها، تردد النساء أغنية الهدان المعبرة عن هذه اللحظة، وينشدن على لسان العروس بنشيد الوداع للأهل:

ألاَ قاله البيضاء كرمتوا   يا أهل ذه الحَوزَهْ جميع
ألاَ واكرمك وا بَهْ حيُودي   واكرمش يا الوالده
ألا يا به كُثُر خيرك   ورَعْ مفتاح مخزانك
ألاَ ما عادنا بنتك   ألاَ ما اليوم بنت الناس
ألاَ قاله البيضاء مع الله   يا أهل ذه الحَوْزَهْ جميع
ألاَ واكرمك يا به ولْخُوَهْ   واكرم اصحابي جميع
ألاَ واكرمش يا الوالده   وأهل بَنْ عمّي جميع
ألاَ يا بَه كثر خيرك   ويعقبنا عليك الخير
ألا يا به كثر خيرك   وذا مفتاح معقابك
ألا سيري ألا سيري   ألاَ يا ساعة الرحمن
ألا سيري ألا سيري   ولا مؤذي ولا شيطان

يلاحظ هنا (قالت البيضاء) والمقصود بها العروس والمرأة بشكل عام كقولهم (تحجر له البيض) أي تزغرد له النساء. والبياض هو

الصفة الرئيسية لبشرة المرأة اليافعية، والعروس في هذه الأغنية كأنما تقول الوداع أيها الأهل في هذه الحوزة السكنية.. الوداع يا أبي، أيها الجبل (الحيد) الذي أحتمي به، وأكرمك الله أنت والوالدة (الأم) على كل ما قدمتموه لي من رعاية وعطف وحنان وحسن تربية.. أودعكم لأنني بحكم سنة الزواج لم أعد أبنتكم، بل أنتسب إلى أسرة زوجي.. لذلك أودعكم مرة أخرى الأب والأم والأخوة وأبناء العم وأهل القرية جميعاً.

وقد يأتي الهدان أثناء المغادرة بصيغة أخرى على لسان العروس وهي تودع أهلها والمحطاب (مكان الحطب) الذي جاءت بحطبه من بطون الجبال والأودية البعيدة. كقولهن:

ألاَ يا استودعك يا دار أبي   ألاَ واستودع المحطاب
ألاَ واستودع المحطاب   ذي نَجّلت من لشعاب
ألا يا ليتني يا بَهْ   حُبَيْبِهْ وسط مخرانك
ألا يا ليتني يا بَهْ   حُرَيْفِهْ وسط جنبيتك
ألاَ بَسْتَوْدعك يا بَهْ   ألاَ واستودع أخواني
ألاَ واستودع أخواني   عِلُوبي ذي يظلوني
ألاَ واستودعك يا بَهْ   وبَسْتَوْدِعْ جميع الناس

والمعنى أن العروس تودع دار الأهل وكل مشاعرها وذكرياتها مشدودة إليه، لذلك فأنها تتمنى أن تكون حبة ذرة في مخزن والدها أو قطعة ذهب (حُريفة) تزين مقبض جنبيته التي تظل ملازمة له كظله، أي أنها لا تود أن تفارق الأهل.

ومن الأغاني المرافقة لخروج العروس من بيت أهلها:

قاله البيضاء مع الله   اقبل الثالث فريع
جا لي السافع وخذني   من على شامخ منيع
واكْرَمَكْ يا بَهْ حيودي   واكْرَم اخُوتي جميع
ودِّعُوني بالسلامه   كم لعيني ما هَجَعْ
واكرمك يا به حيودي   واكرمش يا الوالده
قد معي خير ابن عمِّي   مكسبي والفايده
لا قَصَرْ عاد ابن عمِّي   با يوفي بالسَّبُول
واكرمك يا بَهْ حِيُودي   وَيْش عادك با تقول
واكرمك ما عاد لي بك   قد خَدَمْنَاك القَبُول
بخت بنتي حوَّل الله   با نودّعها وديع
با نحجِّبْهَا بعاشور   والزواجه لا الربيع
وافرحي وا مالها أُمَّش   وا دواء قلبي الوجيع
وازقري به وا حلالي   قد زقرنا به جميع
وازقري به لا تخافي   من زقر به ما يضيع

على صوت آخر:

ألاَ يا بَهْ كثر خيرك	جَبَاك القفل والمفتاح
طرحت البيت والوادي	بيتزَغْوي به الفلاح
ألاَ لا عند بَنْ عمّي	وبا اسْلا لي معه وارتاح
وبن عمّي يبى منّي	حبُوب الليم والتفاح
ومن ذي تشرع النوبه	عسل حالي دواء لجُرَاح
ألاَ يا بَهْ كثر خيرك	طرحنا لك ذه البقعه
خرجت اليوم من عندك	وعيني تقطف الدّمعه
ألاَ وعند بن عمّي	وسِيْرِهْ ما بها رجعه
ألاَ ويش أرجع آسَوِّي	وعاد القلب به وجعه
بدل ما كنت خادمتك	تحُذ لي بالسنه رقعه
ألاَ وانتي اكرمش يا أُمَّهْ	حيُودي واكرمك يا بَهْ
وخُوتي مالي الغالي	نهار الحيد واذيابه
وبَنْ عمّي حبيب الروح	وصلني عاصر اشنابه
ذَبَحْ لي ثور عالسدّه	وضيّف منّهْ اصحابه
فتح لي باب واتجَمَّل	فتح له خير من بابه

وعند اقتراب الوداع من نهايته تقول الأغاني:

واسرحي ودَّعتش الله	صادفش سعد السعود
واسرحي يا عُود لبنوس	خلّي الوادي ينوس
واسرحي يا خيتم أمش	يا ذهب جنبية أبوش
واسرحي يا غصون أمش	يا عمامة راس ابوش
واسرحي يا ميل فضّه	وأهلش أميال الذهب

ثم تردد النساء الوصايا التي يجب على العروس أن تعمل بها في بيت الزوجية الجديد، أي أن تكون زوجة مثالية، حسنة السلوك، تحسن خدمة أهل زوجها، توقر الكبير وتعتبره بمرتبة الأب وتعطف على الصغير وتسميه الأمير، وتهتم بزوجها (ابن الناس) وتقدم المأكل والمشرب لمن يعمل معه أو ضيفه (بتوله والدخيل)، وأن تكون كريمة حتى لا يقال لها (بنت بخيل) ولكي يقال أنه أحسن الاختيار (تندَّب) من أفضل حبوب الذرة (العوبلي) النقية.

واحكمي دلّه وصيني	واحكمي سكَّابها
وقعي بُنَّهْ على الباب	واحكمي جنَّابها
الله الله يا المليحه	بالذي وصَّاش أبوش
الله الله يا المليحه	بالخبر يأتي حَسْين
والكبير ادعيه وا بَهْ	والصُّغَيِّر وا الأمير
الله الله وا مليحه	بالوصوف الغاليه
الله الله في بَنْ الناس	في بتوله والدخيل

الله الله وا مليحه　　لا يقولوا بنت بخيل
ما جهيدا الاّ تنذّب　　قد لقط من خيرة الحب
من سريف العويلي　　حَبْ ماشي به ربُوش

وقد تتكرر صيغة بعض الأبيات مرات ومرات كما في مطلع الأهزوجة التالية التي توصي العروس أن تقدر أهل زوجها بمثل تقديرهم لها، وأن لا تتحمل الضيم إذا ما بدر منهم وترد على كل سيئة بمثلها:

ألاَ سيري ألاَ سيري　　ومُدِّي رجلش اليمنى
ألاَ ومدِّي رجلش اليمنى　　وقولي يا الخضر والياس
ألاَ سيري ألاَ سيري　　خطيوه قسميها اسداس
ألاَ أن قدَّرُوش الناس　　سي مقدارهم عالرأس
ألاَ وان شاتموش الناس　　ردِّي بالكلام أخماس

وعند الترحيب بالعروسة

عند اقتراب العروسة من بيت العريس تكون النساء من أهل الحريو في استقبالها، فتنزل إن كانت راكبة على ظهر جمل، وتتخذ موقعها المعتاد أمام الموكب وعلى يمينها ويسارها المرافقات، والعريس يسير ورائها ومعه مظلة يظلها من اشعة الشمس، وتزغرد النساء ثم يرددن أغنية (التصبيحة) ترحيباً بمقدم موكب العروس والعريس:

وا صباح الخير لُخيَر　　وا صباح العافيه
صبحنَا بظبيه　　والنمر ذي جابها

صبحنا بجهدا　　صبحه بالعافيه
صبحنا بجهدا　　والصحابه والنبي
ارفعي المَجْوَل شويه　　وا ترين ويش العجب
اعجبي سود المفارق　　ذي سلبهم روميه
اعجبي كمَّن مفدم　　والغريس الدانيه
اعجبي الضيعه وعدّي　　عشر من فوق الميه
انظري الدار المشرف　　مسكنش بالعله

إنها أجمل وأرق تحية تستقبل بها العروس في ذلك الصباح المفضل، ليس فقط بالنسبة للعروس، بل ولأهل العريس فها هو هذا الصباح الخيّر قد حمل إليهم ظبية فائقة الجمال (العروس) الذي جاء بها النمر (العريس) وهو يوصف أيضا بـ(جَهْدَا).. وها هي الأغنية الترحيبية تطالب العروس أن ترفع النقاب قليلاً (المجول) لترى العجب في محيطها الجديد.. سترى الرجال الصناديد (سُود المفارق) ممن يحملون الأسلحة التي يطلق عليها (الرومية) وهي صنف من الأسلحة القديمة.. وسترى الجِمَال المفدمة وشتلات البُن الدانية.. وسترى قطيع الأغنام (الضيعة) الذي يصل عدده مائة وعشرة رأس من الأغنام.. وسترى القصر المنيف المؤلف من عدة أدوار وهو متوج بـ(التشاريف) التي تزدان بها البيوت اليافعية بنمطها الفريد، وفي هذا القصر سيكون مسكنها في (العلّية).. والمعنى أن هذه الأوصاف تفصح عن الحالة الميسور ة لبيت الزوجية.

وعادة تسير النساء في الموكب ببطء شديد، وقد يكون الصوت والإيقاع على النحو التالي:

ألاَ يا مرحبا حيًّا وحيًّا اليوم ذي جانا

ألاَ ويش الهديه ويش جاب اليوم لاصحابه

ألاَ هو جاب نويه جانيه وا جاب صرصروره

ألاَ هو جاب من حب البلد منسوف من شوبه

ألاَ قالوا سبوله من سبول الشام ملقوطه

ألاَ يا مرحبا حيّا وصِلْتي مطرح العُرَّاف

وصلتي مطرح العُرَّاف، ألاَ مطرح قبل واشراف

عسى وانتي بريكانه على أهل الدار واركانه

عسى وانتي بُريكانه على بُوْشَهْ ورعيانه

ألاَ يا مرحبا حيًّا بجهدا هو وبنت الناس

ألاَ يا مرحبا حيّا وحيّا بش وباصحابش

ألاَ يا مرحبا حيّا سباعي محظِيهْ لَطْرَاف

نجد النساء هنا يستقبلن العروس بالترحيب بمقدمها، ويتساءلن.. ترى ما هي الهدية التي جاء بها العريس؟.. هل جاء بنحلة (نوبة) تصنع العسل؟.. أم جاء بصرصورة؟!.. أم جاء بحَبّ الذرة البلدي النقي من الشوائب (منسوف من شوبه)؟!.. وتجيء الإجابة على الفور في قولهن أنه جاء بسنبلة من سنابل الذرة الشامية المختارة بعناية.. ثم

يرددن الترحيب بوصولها إلى مسكن القبائل والأعيان والأشراف (مطرح قبل واشراف).. ويستبشرن بمقدمها خيراً، ويتمنين أن تكون ذات بركة على البيت وأهله وعلى ماشيته وأغنامه (بُوشه) ورعيانه.. ويتكرر الترحيب بالعريس والعروس وبأهلها المرافقين ويشبهنها بـ (سُبَاعي محظَية لطراف) أي بالإزار الجميل المزدان من أطرافه بالألوان والذوائب التي تزيده جمالاً.

ومن أغاني الترحيب:

ألاَ يا مرحبا حيًّا   بظبيه من ظبا لَشْعَاب

ذي اجلَبْهَا نمر سرحان   هديه جات لا عالباب

هديه جابها المولى   تقول حصلت في المجلاب

ونحله عادها عذراء   جُويهل عا ولدنا شاب

ألاَ يا مرحبا حيًّا   بذي جانا دخيل اليوم

ويا حيًّا لِبَنْ جَهْدَا   ذي اقْبَلْ من تجاه القوم

ومَنْ ذي به زجا لوَّل   في البَرْدَهْ تجاه الحَوْم

تشلشَلْنَا على صوته   وقُمنا والكسل بالنوم

ألاَ يا أُم الحريو ابدي   بَنُشْ قالوا أوِيْ مهدي

من المرتب طمع ودّي   وروّح مركب الهندي

هَجَمْ بالليل عالفرخه   نمر سرحان ذي يعدي

صباح الخير من بدري   تصبحنا بيوم النور
وصل لا عندنا فني   وحوري من عيال الحور
ألاَ عافية بن جَهْدَا   يكُلْهَا بالعَسَل مَخْصُور
تمتَّح يا جمل وارتاح   على مهلك حُولك جور
ألاَ مَنْعش ومَنْع اهْلُشْ   خطيوه قسميها اخماس
ومُدّي رجلش اليمنى   وقولي يا الخضر والياس
قَدُشْ حاضي بسُعد   وبن عمش صليب الراس
وشي لله يا أهل الله   وبا الحمزه وبالعباس

ومن كلمات الترحيب قولهن:

وارْحِبِي يا مرحبا بش   وارحبي حيّا مِيهْ
وارحبي ترحب رجالش   لا هم اثنعشر مِيهْ
وارحبي وا ذه الصبيه   وين كنتي مخبيه
مخبيه في بيت أبوها   عالهده والشبريه
وارحبي قد رَحَّبْ الجِيْد   ذي فرش بيته حرير
وارحبي بُنِّشْ مُحَمَّم   والصَّياني جاهزه

وعند وصول الزفة باب بيت العريس تنشد النساء المستقبلات بلسان أم العريس التي تنتظر استقبال العروسين في البوابة من الداخل قائلات:

وارحبي يا مرحبا بش   رحبَهْ بش عمش
ألاَ حيّا صبوح أمه   وحيّا المال ذي روَّح
ويا حيّا ويا سهلا   ملان الحيد والوادي
ويا حيا ويا سهلا   ملان البيت واضباره
ومدي رجلش اليمنى   وقولي يا النبي لزهر
دخلتي بيت بن عمش   وقولي يا صباح الخير

ومن أغاني البراك:

تذهب النساء في يوم البراك بأجمل زينتهن ومن أهم ما يرددنه في رقصاتهن وألعابهن في الصفوف النسائية أهازيج تحمل التهاني والتبريكات للعروسين وأهمها:

سلام يا أهل الزواجه بارك الله لكم
بارك لكم في زواجتكم وفي بيتكم
لا شي معي بُن صافي كان قهويتكم

صفوف الألعاب النسائية:

خير وصف لهذه الصفوف النسائية ما كتبه الأديب الراحل محمد سعيد جرادة عما شاهده في إحدى الزيارات التقليدية السنوية في يافع عام ١٩٧٨م حيث قال: "وفي يافع شهدنا أكثر من حفل تمثل فيه روح الإنسان اليمني الحضاري الذي تؤدي قدماه وسائر أجزاء جسمه الرقصة في إيقاع تعبيري يمتاز برهافة الحس ورقة المشاعر، ويؤدي

لسانه القول سهل المأخذ قريب التناول لأنه يجري من القلب إلى اللسان جريان النبع من الربوة الغناء إلى السفح الخصيب.. وفي حفل الزواج تُعرَض أنواع من الرقصات الشعبية، فهناك الرقصة الجماعية التي تؤديها مجاميع من النساء يتحلقن في صفوف متراصة ووسط الحلبة يقف شعراء شعبيون يرتجلون مقاطع من الشعر يدور حول المناسبة ذاتها، وما أن ينتهي الشاعر من إلقاء شعره حتى ترتفع عقيرة الراقصات متغنية بآخر بيت أو بيتين من مقطعه الشعري وهن يختطفن من فمه الشعر بسرعة تسجيلية فوتوغرافية لا يتخللها بتر ولا خطأ.. وفي ساحة واسعة قريبة من سوق ١٤ اكتوبر شهدنا محيطاً متلاطم الأمواج من النساء اللاتي مثّلن معرضاً جمالياً يشبه - إن لم يفق - معارض الجمال التي تقام في البلدان المتحضرة. إن النساء يتحلقن صفوفاً في تشكيلات منتظمة وقد ارتدين أحسن الملابس وزيَّن الأجياد والخصور والسيقان بأنواع الحلي الفضية، ويؤدي الشعراء الشعبيون في هذه الاحتفالات الدور نفسه الذي يؤدونه في حفلات الأعراس"[1].

هكذا كان الحال إلى عهد قريب، وكانت هذه الصفوف النسائية من أهم علامات الفرح في الأعراس والأعياد، حيث تنتظم النساء في صفين متقابلين وجهاً لوجه في ساحات مكشوفة أمام الملا، أو في غرف واسعة إذا كانت الأعداد صغيرة، وتتشابك أيدي النساء في كل صف ويقمن بحركات راقصة ويتحركن بأجسادهن من الأعلى إلى الأسفل ثم يتقدم الصف بحركة راقصة موحدة ليلتقي بالصف المقابل والعودة بذات النسق الإيقاعي إلى الخلف، وبالمثل يفعل الصف الآخر،

(١) انظر: صحيفة ١٤ أكتوبر. العدد ٣٤٩٨. ٢٣ نوفمبر ١٩٧٨م. وكذا: مقالات ودراسات عن مديريات يافع وتاريخها. مجموعة مؤلفين. دار الفارابي. بيروت. ١٩٨٥م. ص٣٨ - ٤٢.

فيما تردد النساء في الصفين بالتناوب وبصوت غنائي جميل الأبيات الشعرية التي ارتجلها للتو الشاعر وقالها بصوت مسموع بين الصفين. وقد يرتجل عدة أبيات شعرية لإظهار قدرته أمام أقرانه وأنداده، ولكن النساء في الصفين يلتقطن البيتين الأخيرين فيرددنها لفترة حتى يدخل شاعر آخر، وهكذا يمتزج في هذه الصفوف الشعر بالغناء بالرقص في لوحة إبداعية جميلة تأسر ألباب جموع المتفرجين على الجوانب من النساء والرجال. وقد تردد النساء أبيات من ذاكرتهن كاستهلال حتى يتقدم الشعراء لقول ما لديهم، كقولهن:

بـدعت بـالله ذي مـا نبـدع انْ كـان بـه

بـدعت بـالله ذي لا راد شي قـدّره

سـلام يـا أهـل الزواجـه بـارك الله لكـم

بـارك لكـم في زواجـتكم وفي مـالكم

يـا ليلـة النـور عـاد افواجهـا سبَّره

جيـت آتِـسَلَّى معكـم يـوم قلبـي سَـلي

- حضر **الشاعر يحيى محمد علوي الفردي** (الحد - يافع) حفل زواج في قرية (شرف عوسان) فرحب به صديق **الشاعر محمد علي الشرفي (أبو يونس)** بالأبيات التالية:

حيّا بيحيى محمد ما ذلَحْ ماطره — أو كل ما السيل خَلاَّ كل وادي اجْوِرِهْ

من كُل غالي يخُذ له قدني آخَيِّرَهْ — يا ريت يحيى يخُذ له بالشرف عاشره

ولو جلس شهر ما بنَّهْ سلي خاطره — بو آسيا قال ماذا وقتنا ما ادْبَرَهْ

زمان خـدّاع قـد شُـفنا أولـه آخـره ... ذي كـان بالقـاع قـد سـوّاه بـالمنظره
وسَا الذره من حدعشر والشعير أعشره ... مـا واحـد إلاّ وبـه مـن وقتنـا شـاتره

فرد عليه يحيى الفردي على الفور بقوله:

عَـزّه ويحييـه ذي مـا يـذلّحْ العَـاثره ... دائـم شرُوعـه وفيّـه مـا بهـا قـاصره
شُفته طلب عِلْم منّي ويش با خابره ... شَكى من الوقت قال الوقت بيضجَّرَهْ
وكُل واحد بيشكي من وجع صابره ... ورَايْ ضاحَهْ وقدّامي عصا جاسره
والحق مسكين من ذي عاد با ينصره ... بالميـه تـسعين لا دنيـا ولا آخـره

صفوف البال

وهي شبيهة بالألعاب النسائية وكانت توجد أيضاً في بعض المناطق (كلد على سبيل المثال)، وهي نوعان. الأول تتخذ النساء فيه صفاً مستطيلاً، فيما يقابلهن صف من الرجال، وقد يكون الصفان من الرجال. ويردد المشاركون في الصفين بالتناوب الأغاني بصوت البال ذي الإيقاع السريع ويرافق ذلك حركات اهتزازية على نسق واحد لكل صف من الأعلى إلى الأسفل مع انحناء للركبة ثم الاستقامة. والنوع الآخر كان يتداخل فيه المشاركون من الرجال والنساء، أي أن كل صف فيه امرأة بين اثنين رجال ورجل بين امرأتين وفي الصف عشرين رجل وامرأة ومثل ذلك في الصف المقابل وهم يؤدون نفس الحركات الراقصة السابقة المصاحبة لترديد أغنية البال، حيث يدخل الشعراء الشعبيين إلى وسط الصفين ويرددون الأشعار حتى يلتقطها المشاركون. علماً أن مثل هذه الصفوف تقام في القرى والتجمعات السكانية الصغيرة التي تتألف من أسر متقاربة. ومن نماذج كلمات الدّان، قول شاعر شعبي:

يا بـو العيـون الـسود ربي فـضّلك ... واعطاك ميزه ميَّزك فيها على العُربـان
ذي كان عطشان ارتوى من لحظتـك ... وان غبت من عينه يبيِّت ليلتـه سـهران

ويرد عليه شاعر شعبي آخر فيقول:

لا تسمق بحق الناس أُوبهْ جربتك ... فيها العنب ناجح وفيها الليم والرمـان
مولى العيون السود أُوْبِـهْ يخدعك ... سَعْفه أفاعي تنطلق من بطنها حنشان

الرقصات اليافعية

كثيرة هي الرقصات الشعبية اليافعية، منها ما هو للرجال ومنها ما هو للنساء ومنها رقصات يؤديها الرجال والنساء بصورة مشتركة.

فمن الرقصات الرجالية: السَّفيخ، الرقصة الرجالية (السمرة)، رقصة العسكَرية، ورقصة البرع الشهيرة. وكل الرقصات الرجالية يؤديها اثنان فقط، ما عدا البرع الذي يشارك فيه من أربعة إلى عشرة رجال أو أكثر. ومنه نوع يؤدى من الحركة، حيث تتقدم جماعة البرع موكب الزامل، في حفلات الزواج وهم يحملون الأسلحة وفي أياديهم اليمنى ترتفع وتنخفض الجنابي أو السيوف بحركة متناسقة وموحدة مع رقصة البرع الجماعية، ويصاحب البرع ترديد الزوامل بأصوات مرتفعة شبيهة بالنشيد العسكري ويرتل الشعراء الشعبيون الأبيات الشعرية في الحال وفقاً لظروف المناسبة. فيما تصدح إيقاعات الطبل والمرفع أو الطاسة وأنغام المزمار أو الشبابة. والنوع الآخر من البرع يؤدى في حلقات دائرية وبحركات راقصة لها قواعدها التي تسير وفق إيقاعات الطبل أو الطاسة.

ومن الرقصات النسائية: النسوانية، الشوبلية والبنائية. والرقصتان الأخيرتان يشارك في تأديتهما رجل وامرأة بصورة مشتركة، وهناك رقصات كثيرة أخرى بمختلف التسميات في كثير من المناطق.

نماذج من الزوامل في مناسبات زواج مختلفة

(١) زوامل في زواج أنهت فتنه:

في العهود القبلية كانت فتنة قبلية ناشبة بين قبيلتين استمرت عشرات السنين وراح ضحيتها خمسة قتلى وعدد من المصابين، وذات يوم حضر أشخاص من القبيلتين مراسيم حفل زواج لدى قبيلة ثالثة لها علاقة طيبة بالطرفين المتقاتلين، فانبرى شاعر هذه القبيلة بزامل أراد فيه أن يضع حداً للفتنة القائمة بين القبيلتين، ووجه الزامل لممثلي القبيلتين المتخاصمتين قائلاً:

قتل النفوس حرَّم علينا ديننا   خمسه انتهوا بالقتل والجرحى نصيف
هل تقبلون الحُكم ينهي للبلأ   ما عَرَّفك إنَّك تخَلِّصْ أو تضيف

لقد أعطى الشاعر رأيه في الحكم المنصف بين القبيلتين لوقف المزيد من إراقة الدماء وإهدار المزيد من الأرواح، فيكفي خمسة قتلى، أي بزيادة واحد لا بد أن يثأر له أصحابه، ولكن من يدري فقد تخطئ رصاصة من هذا الطرف أو ذاك فيزداد عدد القتلى، أما الجرحى فهم من الطرف الآخر، لذلك اعتبر الإصابات نصف دية وتدفع نصف دية مقابل القتيل الخامس وتنتهي بذلك هذه الفتنة. ومباشرة دخل شاعر القبيلة التي لها إصابات وعندها قتيل فقال:

إدُّوا لنا فرصه نشاور أهلنا   والكبر للشيطان وابن آدم ضعيف[1]
هذه بليّه نازله من ربنا   وما حصل منكُور بالدين الحنيف

ولم يتردد الطرف الآخر ممن لهم قتيل، بل أكدَ على لسان شاعرهم التجاوب مع هذه المبادرة، وطلب شاعرهم فرصة للتشاور مع الأقرباء وبالذات ابن القتيل:

الحل واضح والعَمَدْ نياتنا   والرأي للقربى وبالذّات الخَلِيْف[2]
با نجتهد والله شاهد بيننا   ما حَدْ بيفرح بالفتن إلاَّ السخيف

ويقال أن مشاورات جرت بين الطرفين مباشرة وتوصلا إلى اتفاق على الأساس الذي وضعه الشاعر الوسيط، وفي لحظة انتهت فتنة عمرها عشرات السنين.

(٢) زامل للشاعر منصر حسين السقاف، أثناء حضوره زواج في قرية (كُمَيْتْ) بنجد العياسى قال فيه رداً على استقبال المرحبين للشواعة:

سلام ما يرعد وما البارق برَق   وارخى المطر وأمسى وظلى يا وديق
تقدير مَنْ رحَّب ومن فينا التحق   ما اتلاجبه سُود اللّثامات الرشيق

من نجد لا كُمَيِّت موكبنا انطلق   في هذه الساعه وذا الجو الطليق
عَهْد الصَّهاره با نجدد ذي سبق   ما نفترق لو تحرق الدنيا حريق

---
(١) ابن آدم: في اللهجة ابن أيدَم.
(٢) الخَلِيْف: ابن القتيل.

شَرْع الصهاره طَوْل ذي وصّى صدق ... والثانيه ماشي صديق الاّ بضيق
والثالثه عالخير جاهد من سبق ... نال الرضا الميمون من ربٍ شفيق

(٣) في قرية شرجان، بدع وجواب من زوامل بين السادة والعارف معهم، قال **حسين محمد محسن العارف المنصوري** الزامل التالي ويبدو فيه المزح من قوله (الحاجه أبقى من ثمنها) وهو مثل شعبي، أراد أن يقول أن المَهْر هو ثمن العروس:

يا سدة الوادي سلامي ... والدور تسمع من سكنها
جينا على حاجه أمَانه ... والحاجه أبقى من ثمنها

فرد عليه السيد قائلاً:

يا مرحبا حيا بقولك ... ما البرق لحلح من مزنها
لو ما كتاب الله طرق ... ما المال حقك ما وزنها

وعلى نفس النسق من التهديد، يقول البداع:

الله يعزك يا المرحب ... وكلمتك كُلاً فطنها
والذيب يتشَجَّر بنفسه ... وخَذ من الضّيعه سِمَنْهَا

فرد عيه المجاوب:

حيّا الله الليله بقولك ... ما أهل اليمن تحمي يمنها
لا ما سكت أخْرِج قنابل ... يتعَوَّذ الشيطان منها

بعد ذلك أوقفوهم عن الاستمرار في هذا المزاح الحاد والثقيل الذي قد لا يتقبلّه البعض. فارتجز أحد الشواعة زاملاً لتهدئة نفوس أهل العروس (المرحبين) فقال:

منّي سلام ألفين قال المرتجز ... يا قسِّمَهْ بالكأس بين القَبْيَلَهْ
امْكَلمه الزَّينه تطلِّع مَيْدَمي ... وامْكَلمه الشَّينه شَعُوها تِنْزله

فرد عليه السيد:

حيَّا الله الليله بذي جاء عندنا ... والضيف لا جاني عَليًّا الحق له
اصفيتني وأوفيتني في كلمتك ... من بعد ما لصَّه بجوفي شَعْمَلَه

(٤) ومن زوامل الترحيب بالشواعة، نختار زاملين للشاعر **عبدالقوي عبدربه عبدالقوي العلوي** في زواج بمنطقة الصفأة (الزغرور) يقول مرحباً:

قال العلوي ألف حيّا وارحبوا ... قدر الشواعه كل واحد له قسيم
من كال لي معروف جازيته وفاء ... والحق والباطل بكيله للغريم

حيّا بكم يا ذي الشواعه مرحبا ... واهْدِي لكم من عطر جنَّات النعيم
وأحْسَنْ قبيلي من عَرَف قدر العُوَلْ ... واثْبَتْ وجُوده عند سَكَّات اللَّطيم

وله أيضاً زوامل يرد فيها على من رحَّب به وبالشواعه في زواجة أخرى في رخمة:

الله يحيي كل من حيّا بنا ... يكتال من فوق الشوامخ والسهول
اتعبتنا بقعا ورحنا بعدها ... والحق ضائع والمَخارج والحلول

سلام منّي للمطارح وأهلها ... ما جارت الدنيا وما جار الحمُول
مانَا وغيري من طلع والاّ نزل ... ماشي عجي بالطّلْعْ والاّ بالنزول

(٥) ذهب شواعة من كلد بصحبة العريس إلى منطقة السعدي التي تنتمي إليها العروس، وكان بين الشواعة رجال سحناتهم سوداء، فرحب شاعر السعدي بالشواعة محتقراً ذوي السحنة السوداء إذ شبههم بالغربان:

حيّا بكم يا ذي سندتوا عندنا ... ويش ادخل الغربان لا بين النسور
ترحيبكم واجب علينا كلنا ... والعطر والرشاش ما منه عذور

فأثار بذلك حفيظة **الشاعر صلاح الكلدي** الذي رد عليه بالقول:

يا ذي بدعت القول دقيت البناء ... ويش با يقولون المكاتب والحضور
ميلاد واحد في عناية ربنا ... لا ذا سليماني ولا ذا بن سرور

(٦) وفي مناسبة زواج أخرى بدأ بن سليمان السعدي وهو غير السابق في استقبال الحريو وشواعته من كلد بالقول:

حيّا بكم يا ذي ولبتوا عندنا ... لا عند كابر ذي يناطح بالقرون
ما اليوم مدينا الصهاره والوفاء ... بعد الوفاء والخوف قَتّوا بالأمان

ويستشف من الزامل النظرة الاستعلائية وهو ما أدركه الشواعة واثار غضبهم، إلاّ أن شاعرهم **الشيخ ناصر بن مجمل** قد هدأ الموقف بجوابه التالي:

الله يحيي كل من حيّا بنا ... في قول كابر قد بتَاطح بالقرون
لا بِدِّيْ الشَّعْلا ولا بطلب وفاء ... ما أعجبكم أعجبنا بَلا والاَّ سكُون

(٧) جرى زواج في العهد القبلي في قرية (العلاة) مقر الطالبي والعطوي، وكان الشواعة من آل سنيد وجميعهم من كلد، وكانت الفتنة بين السنيدي والطالبي، فتزمل شاعر الشواعة **عُبادي سعيد السنيدي** بقوله:

سلام منّي للمطارح ... ميدان من يصبح وماسي
قد حكمة المنشار بيدي ... والجَسْر بقطعها بفاسي

وجاء الجواب من الشاعر **الشيخ محمد ناصر بن مجمل** يؤيد فيه الطالبي فقال:

سلام مني للمطارح ... ما شمَّر المركب وغاصي
لأهل الحديد الهندواني ... ذي ما دخل فيه الخلاصي

(٨) في أواخر الخمسينات من القرن الماضي ذهب شواعة من آل المطري من قرية آل أحمد بلبعوس إلى قرية سَلَفَهْ برفقة العريس (الحريو) وكان معهم متزملهم **الشاعر المرحوم عبدالله عمر المطري** وأثناء مرورهم على القرى المختلفة في طريق وجهتهم كانوا يرددون الزوامل المختلفة، من ذلك زامل عند مرورهم في قرية الهجر:

يقول ذي مِنْ حَدْ ما شَوْرَهْ لَحِدْ ... سلام مني يدهم اطراف الحصون
بِزْكِنْ على خيط السبيحه والردود ... يا القبيله كُلاً معه وجهه زبون

واثناء مرورهم أمام (حبيل قَلْحَهْ) قال:

بسْرَح بِلَخْوَه ذي معي ثوب الجسد   للحق والباطل فلا يترجعون
ذا وقتنا ذي ما معه ساعد ويد   شل الفساله بين حمران العيون

وعند وصولهم رحَّب بهم الشاعر جرهوم وكان على رأس المستقبلين من أهل العروس (الحريوه):

يا ذي ولبتوا رحَّب الحيد النَّسِيم   والحَيْد لَنْصَب ذي مقادي ذي عسيم
بيني وبينك سوم ما با يشتلم   وحوضنا مُصْتَان من قادم قديم

فرد عليه الشاعر عبدالله عمر المطري بالقول:

قال الفتى البُعسي بثوبي مُحتزم   بين القبايل رأس سومي مستليم
وان حد دعينا للطوارف ما نهم   عاد الأسد يمسي وظلّي يا نهيم

بدع آخر من الشاعر جرهوم:

حيّا بكم لا حد دايم محتزم   من الرُّبَعْ لا الفيدلية لا القويم
يا القبيله كُلاً مكانه ملتزم   أمور يخشى من عواقبها الحليم

جواب المطري:

بدحَق نَسَمْ ما اطرح لَحَدْ من ذي عُلِمْ   بعدي مخوّه ما يهابون الخصيم
وان حَدْ فسل بالقبيله والاَّ تُهم   لا عافيه سرمد ولا شراً يديم

وعند خروج الشواعة ومعهم العروس(الحريوه) في موكب العودة قال المطري مودعاً:

رحنا نشرنا يا العصيب الجاسره   واكرمكم الله عد ما ثوَّر سهيل
من عندكم ماشي لقينا قاصره   شرع المنيه ذي تشل الحمل ميل

وأثناء مرورهم أمام (المَحْجَبَهْ) عاصمة السلاطين من آل هرهرة قال الزامل التالي موجهاً إيّاه إلى السلطان فضل بن محمد بن هرهرة يحذر فيه من عواقب اللحاق بإتحاد إمارات الجنوب العربي:

يا المحجبه يا عاصمة بن هرهره   قالوا عدن ضموه جنب المحميات
واليوم ذا من له عَلَمْ يتذكَّره   يا بن محمد انتبه عالتاليات

(٩) في العهد القبلي ورغم الفتن التي كانت شائعة إلاَّ أن الناس كانوا يحترمون الهدنة والصلح ويلتقون ويتصاهرون وكأن شيئاً لم يكن بينهم، وقد حصل زواج أثناء فتنة الداوودي والفردي، فقد ذهب الشواعة برفقة الحريو (العريس) من الفردة، وعند مرورهم بقرية (آل ماجُوحْ) قال متزملهم **الشاعر المرحوم مثنى صالح:**

سلام للماجوحي اثنعشر ميه   يا الرأس ذي بين التقارين الرَّجَاب
لا التاح لي حدِّي ولا انّه داودي   ما التاح لي ضاو الهلالي بالسَّحَاب

ورد عليه **الشاعر صالح علي الداوودي:**

إن قلت لي حدِّي فقد هُوْ صاحبي   ذي لا دعيته كان للداعي مُجاب
وإن قلت داوودي فقدني منّهم   وا تشهد الصفراء ومحجا ذا الحبَاب

وعند وصول الشواعة إلى النقعة لم يظهر أحد للترحيب بهم أو استضافتهم – كما جرت العادة – فقال مثنى صالح الفردي:

يا صاحب النَّقعه رَغْ السَّيل اقبلك   لا شاتعَبَّرْ وا تسقي بالسيول
وان ما معك نِضْيهْ فقدنا نجزعك   ولا تسي طيَّارتك بين الميول(1)

وعند وصولهم إلى عند آل داوود رحَّب بهم الشاعر صالح علي الداوودي(وادي الوهط) بزامل فيه رائحة التهديد حيث قال:

مَرْحَبْ منبَّز كُل ما الهزَّاز هز   بالمرتجز ذي جاء من الكور الوريب
رَغْ من عمل حرْجَز، ومن حَرْجَز نَجَز   وإن حَدْ عجز با نقلِبْ الدنيا قلِيْب

وجاء الرَّد بنفس اللهجة من الشاعر مثنى صالح الفردي:

عز المرحب كل ما البارق لمع   ما حنَّه المزنه وما شن الخصيب
وأنا سلام أربع وستعشر تبع   مقدار يتقسَّم على ذَرّي العصيب
من رأس حِلَيَنْ ذي يعزُّون الرَّبَعْ   لا أسفل صبر لا الظاهره منِّي وجِيْب
وسَلَّمت لَفرُود والشور ارتبع   واسلابنا قد سلّمت سُود القصيب
سلام للساده وعُقَّال التَّبَعْ   والقبيله ذي يشعلوا نار الكريب
ياالداودي كُثر الشجز طاح الشَّرَعْ   كسَّر لَدَاوي شانف الحيد الصلّيب
ياكَمْ صلب وادي وكم وادي زرع   وكم عملنا في شجرها والخليب
كم ذي معك وسط الطيَّاله والبرع   رَغْ بي فزع لا يصل على الحَبْ الحَجِيْب
كم كِلْت في كاسك وحبَّك ما رجع   وأوجعتني ذي نَا لك الأخ القريب

(١) نضيه: مُقدرة.

قال البهيشي ذي بقيفانه بدع   والأصل داوودي وخالي والنسيب
لو لي مُحه وسط الخنش ما بي فزع   با جرّها من داخله غصبا غصيب
من بين شوكات المذارب واللُّقع   ماشي عُقَلْ وارْكاب والمَعْدَا قريب

ثم تدخل العقال ودفروا لأنهاء الزامل، خوفاً مما قد يترتب بسببه من تداعيات، وعلى الفور اختتم الشاعر بذكر النبي قائلاً:

ومن سمع صوتي يصلّي كل سَعْ   ما السارحه تسرح وبالليل ابْتغيب
على محمد طب ذي فيه الوجع   ذي ريح جيبه مسك عالزاجي وطيب

(١٠) شارك **الشاعر المرحوم أحمد صالح الجوهري (عَبْسُوق)** في زواج بالدَّرب في عام ١٩٩٦م وقد تجاوز المئة من عمره بقليل، فقال مرحباً:

يامرحبا حيّا بكم ما الماطر اخْصَب   وأهل السلب باصواتها يتجابون
لا عند ذي ما يدِّي اقوال العتب   وان جَتْ خساره عندها يتحاسبون

وعقب عليه الشاعر أحمد محمد علي قائلاً:

حيّا بكم يا ذي ولبتوا عندنا   يملأ بلدنا واستند رأس الحصون
ماهل بغيت اتخبَّرك ويش الخبر   رغْها مثوره بعد ما كانت سكُون

رد عليه عبسوق بالقول:

يا الثور لشعب ذي بتعمل بالصَّلَبْ   ذي ما اتَّلا للسَّحَبْ رغهُم يتعبون
رَغْ من عمل شجَّبْ ومن شجَّب صرب   واليوم جونا للبلد ذي يصربون

(١١) شارك **الشاعر المرحوم شائف الخالدي والشاعر أحمد حسين عسكر** في حفل زواج بالنصباء - سكن آل بن شِلْوِهْ، فبدأ الخالدي بقوله:

حيّا لكم يا ذي ولبتوا عندنا   لا دار ذي ساسه ومعلاقه وثيق
رحّب بكم مولى القرون المرجبه   وأهله ولُحُوَّهْ ثروة الشعب العريق

ثم عقب بن عسكر بقوله:

حيّا لكم يا ذي ولبتوا عندنا   ما طافوا الحُجّاج بالبيت العتيق
لا مطرح الجودات وأصحاب الشرف   ذي عندهم قدر المحبّه والصديق

الخالدي:

ينزاد رأسي في كراديس العُوَلْ   ذي باسم يافع بهتري فيهم حقيق
لو شورنا واحد وكلمه واحده   ما يوقف الشيطان حاجز في الطريق

بن عسكر:

حيًّا لكم يا ذي ولبتوا عندنا   يدهم سفوح العُر لنَصّبْ والمضيق
والقاره النصباء مع شامخ ثمر   ما نفترق لو تحرق الدنيا حريق

الخالدي:

يا ذي بدعت القول حيّا زاملك   ما اتْشَرَّع الجاهم بذا اليوم الشريق
يافع بني مالك وقاصد واحده   ما يفرقونا كل شلّه من فريق

(١٢) شارك **الشاعر الشعبي يحيى محمد علوي الفردي** في حفل زواج ببني بكر وكان مع شواعة الحريو من آل بن نسر، وفي جانب المرحبين كان **الشاعر الشعبي محمد عبدالله أحمد دينيش (القُمْعْ)**، وبعد الترحيب، بدأ الشاعران المواجهة الشعرية، رغم ما بينهما من ودّ وصداقة حميمة،، فقال القمع:

يقول بدّاع الزوامل   يا صاحبي سرَّك تبيَّن
لا اتْلَيَّنَهْ لشعاب قلبي   قولوا ليحيى ما تلين

الفردي:

يا القُمع لا تقمع صديقك   والهَرْج من عندي مثمَّن
واذلَخْ لي الكلمه حَسِيْنِهْ   وإلاَّ رَعْ السَّكته لك أحْسَنْ

ما ينفعك واحد محرّش   ذي صَلَّح العُقدَهْ وأوَّن
رَعَهْ غريمي ذي رماني   ما شي غريمي ذي بيشحن

القُمع:

يقول بدَّاع الزوامل   ويش نزَّلك يا حيد حلين
رَعْني قوي قولوا ليحيى   ما دام عاده لي مدين

الفردي:

وأنا سلامي اليوم واجب   جاك المطر وين آتِكَنَّنْ
ما ينحني راسي لصاحب   لو يطحنوني وسط مطحن

شامخ ثمر رَعْ عاده أعلى	من شامخ القاره وحِلْيَنْ
ذي شُفت من رأسه حدودي	من مسوره لا ساحل أبين

القمع:

يا مرحبا لا دُور بالسَّاحه	من خمس سيناها ومن دورين
يا ضيف ذهَّني لجَبْ صوتك	حتى العُقَبْ من عشّهِنْ طارين

الفردي:

عز المرحب كل ما رحب	يا ذي بتديني على حرفين
وأنا معيَّا هاجسي وافي	بالقاف بيرجِّع لكم قافين
رَعْ الصُلابَهْ ذي لها عاده	كنِّي براها خاربه يَهْوين
ذي حلَّها شي با يسويها	ماشي خساره لا دفع ألفين

القمع:

يا ذي بتقفز لا معَ رأسك	شيَّبت واليوم الرُّكب قرَّين
بحري مِلَهْ قال ابن عبدالله	يا ذي بتسني لك على بيرين

الفردي:

يا ذي وقفتوا لي على المرصد	ما بي فزَعْ لو تجلسوا يومين
يا ذي تقولوا سيفكم قاطع	رَعْ قد معيَّا سيف أبو حدَّين

(١٣) مختارات من زوامل زواج **للشاعر المرحوم عمر أحمد عبدالنبي الخلاقي:**

وإنَّا توكلنا على الله	ذي كوَّن الأشياء وكانه
سارح على سنة محمد	المصطفى عالي المكانه

سلام ما هلل وما السيل احتمل	يا ردف جنبي ذي معي راس النضير
والثانيه لا حد سأل وإلاَّ نَشَدْ	نشتي الأمانه يا نسيبي والصهير

وإنَّا توكلنا على الله	وساعة الرحمن معنا
ساعه سعيدة قالها الله	يا الله على خير اجتمعنا
- مقصودنا سنة محمد	يا الله لا بابك سرحنا
زُفوا العُرسْ يا ذه الشواعه	والأرض تفرح من فرحنا

ملحق

أصناف الحلي

تتكون الحلي من أصناف عديدة تتشابه مسمياتها مع اختلاف طفيف بين منطقة وأخرى، وجميعها فضية أو عاجية، قبل أن تحل محلها الحلي الذهبية التي أصبحت هي الطاغية في الوقت الحاضر. ونذكر منها:

- حزام (كمر) فضي يلبس حول الخصر، ويزدان بأشكاله الجميلة وتتدلى منه فصوص فضية على شكل أجراس تصدر صوتاً عند الحركة.
- خيتم أو فتخة.
- أكواز وهي عبارة عن زينة فضية تزين جانبي الرأس وتتصل ببعضهما بعقد في مقدمة الرأس أعلى الجبين يسمى (مَصْبَرْ).
- مسبط.
- حجول تلبس على الأرجل (في بعض المناطق).
- اساور (عضادات) أو(معاصم) تلبس في المعضد واليد.
- جَبَارَهْ (سوار فضي كبير).
- دِقِّيْ للصدر.

- خَطْر، يتألف من عدة ريالات فرنسصة، تصل إلى ١٢ ريالاً متشابكة مع بعضها من خلال زيادة في أطرافها مثقوبة (معرواه) يدخل منها الخيط الذي يصل بينها والأشكال الفضية الفاصلة، ويكون على شكل عقد وفي وسطه حرز ويلبس على الصدرويشد إلى قفا الرأس (الخُوره)..
- أقراط للأذنين (مقاطي، وزق).
- اللَّبَة، وهي عقد أصغر من الخطر، ويلبس حول العنق.

مواد الزينة والطيب

١- **الهُرْد**: وهو العروق التي يصبغ بها، وقيل: هو الكُرْكُم. وثوب مَهْرُدٌ ومُهَرَّدٌ: مصبوغ أصفر بالهُرْد. وفي الحديث: ينزل عيسى، عليه السلام، في ثوبين مَهْرُدَيْن[١]. وتسمى عروق الهرد باللهجة اليافعية (قُرُون) وعندما تسحق وتخلط بالماء تسمى الصبغة الناتجة (مُرُخْ) وتصبغ المرأة بها وجهها ويديها ورجليها فطيغي عليها اللون الأصفر. أما خليط مسحوق الهرد مع العسل والحُسن فيسمى (مُعَسَّله)، وخليط الهرد والورس والحُسن يطلق عليه (وَدْعَه) ولونه أحمر مائل إلى الصفرة. وتصبغ النساء والفتيات الأطراف والوجه، كلياً أو جزئياً، ورائحته طيبة وهو يعطي الجسم طراوة ونعومة، ويقي الأطراف من ضربات الشمس والرياح الجافة، سيما وأن المرأة اليافعية كانت تتحرك لتأدية أعمالها داخل البيت وخارجه.

(١) ابن منظور: لسان العرب (كلمة هرد).

٢- **الحُسْن**: مادة صلبة ذات لون بين البني والأحمر تسحق كالهرد ويخلط مسحوقها بالماء مع صمغ اللبان ويُصبغ بها الوجه أو جزء منه فقط، وتسمى الزينة بهذه الصبغة (النّده)، وهي تكون طبقة عازلة تقي الوجه جيداً من تأثير الشمس والبرد اللافح وتحافظ على نعومة وبياض الوجه. حتى أن الفتيات يكثرن منها في فترة (الخبأ) حتى يأتي الزواج وهن أكثر بياضاً ونعومة.قال الشاعر الشعبي شائف محمد الخالدي:

يا ذي طارح النَّدَهْ عَتْبَهْ ونَقْدَه

من بعد السَّمَر رقدَهْ با جر نهْدَه

٣- **الوَرْس**: هو نبات أصفر، يصبغ به ويتخذ منه الزعفران..وفي لسان العرب: "الورس نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغُمْرَة للوجه، وورَّست الثوب توريساً: صبغته بالورس، وملحفة وَرْسيَّة: صبغت بالورس. قال ابو حنيفة: الوَرْس ليس ببَرِّي يزرع سنة فيجلس عشر سنين أي يقيم في الأرض ولا يتعطل، قال ونباته مثل نبات السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتقت خرائطه فيُنْفض، فيَنْتفض منه الورس، وجاء في شعر ابن هَرْمَة قال:

وكأنّما خُضِبَتْ بحَمْضٍ مُورس،

آباطُها من ذي قُرُونِ أيايِلِ

ويزرع الورس في يافع وهو من أجود الأنواع وتجمع ثماره مرة في العام خلال شهر مارس وهو يجمع في أكياس ويُباع بالأوقية، وتستخدمه النساء لدهان الوجه والأطراف، أو ممزوجاً مع مسحوق الهرد أو مسحوق الحُسنْ.

٤- **الشُبَّابَهْ:** ثمرة نبات تكون على شكل عيدان رفيعة ومتشعبة يكون لونها بين الأحمر والبني، تيبَّس وتطحن، ثم تستخدم النساء المسحوق لوحده أو ممزوجاً مع مسحوق الهرد لنقش الجبين بأشكال فنية على شكل هلال أو نقطة مميزة بين الحاجبين.

٥- **الحنَّا:** عبارة عن أوراق شجرة الحنا تجمع وتيبَّس ثم تطحن ويستخدم مسحوقها لتخضيب اليدين والقدمين بعد خلطه بالماء، وكان يستخدمه الرجال في تخضيب الكفين والقدمين بنسبة أقل من استخدام النساء. ويستخدمه الرجال كصبغة للشعر.

٦- **الهَدَسْ:** أوراق شجر الآس، وهو شجر ورقة عكر وخضرته دائمة.كان يزرع بكثرة في يافع لكثرة استخدامه من قبل النساء عند كل زينة في الأعياد والأعراس، حيث تجمع أوراقه ثم تجف وتطحن ويستخدم المسحوق لوحده أو يخلط مع الهرد بإضافة زيت الجلجل (السليط) عوضاً عن الماء، ويوضع في الشعر عند تسريحه على ضفائر، وله رائحة طيبة.

٧- **الكُحُل:** هو الإثْمَد، أو هو كل ما يوضع في العين ليُستشفى به مما ليس بسائل. وهو يكون على شكل قطع تسحق ويوضع مسحوقها في المكحلة ويستخدم لتزيين رموش العينين، وكثيراً ما يتغنى الشعراء الشعبيون بكحيلات العيون.

٨- **الغَسْلْ:** مسحوق ورق أشجار العلب(السدر)، يستخدم لغسل وتنظيف الشعر وكذا لغسل الأطفال.

٩- **الرُقَّام:** وهو الوشم وتستخدمه النساء في بعض المناطق، ويتم تحضيره من عُصارة أوراق شجرة (العُبَبْ) ويمزج بمسحوق الفحم في وعاء خاص يسمى (مَرقَمَهْ)، وتُرسم منه الأشكال

المطلوبة خاصة في الذقن أو خط رفيع يفصل الجبين أو في اليدين، وبعد أن يجف النقش يخرم على موقعه بإبرة حتى تمتزج الصبغة بالدم فيبقى أثر النقش بعد ذلك بارزاً بصورة دائمة.

١٠- **الصَّبر:** وهو قطع متيبسة من عصارة شجرة الصبر، وأجود أنواعه السقطري والحضرمي وتستخدمه النساء بعد سحقه في تزيين أجزاء من الوجه كوضع أشكال معينة في الجبين أو حول العينين..الخ.

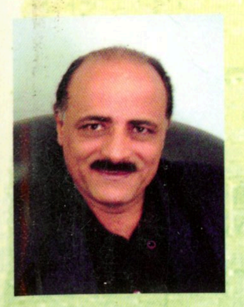
١١- **الرَّعش:** وهي عبارة عن شرائط دقيقة مستوردة ذات ألوان متعددة لامعة تضعها المرأة كزينة في مقدمة الرأس أعلى الجبين.

١٢- **الشُقُر:** اسم جامع لأنواع متعددة من نباتات الطيب ذات الرائحة العطرية، تزرع في أحواض خاصة بجانب البيوت ويكثر استخدامها من قبل النساء على الرأس أو بين الثياب، كما يتطيب بها الرجال خاصة في أيام الجمعة أو المناسبات بوضع غصون منها في عمائمهم، خاصة حين تكون مزهرة وتسمى (حُمْحُمَهْ)، ومن أنواع الشقر: الريمان (الريحان)، الأُزَّاب، العُبيثران.. الخ.

١٣- **العطور:** كانت العطور المستوردة نادرة جداً، وأشهر أنواعها الزباد والمَاوَرْد.

١٤- **البخور:** ومن أنواعه الجاوي والمستكى واللبان والعود وغيره.

المحتـــويات





❖ منْ مواليد عام 1956 ، في يافع محافظة لحج .

❖ حاصل على شهادة الماجستير في الصحافة الدولية ، موسكو 1992م .

❖ حاصل على شهادة الدكتوراة في التاريخ ، موسكو 1996م .

❖ عمل في الصحافة والإعلام منذ الثمانينات ، وساهم في عدد من الصحف والمجلات المحلية ، وفي تقديم برامج إذاعية وتلفزيونية .

❖ عضو في منظمة الصحفيين اليمنيين ومثلها عام 1984م في المؤتمر الدولي للصحفيين المنعقد في بيونغ يانغ ، كوريا الديمقراطية .

❖ يعمل حالياً محاضراً في التاريخ الإسلامي ، جامعة عدن ويشغل وظيفة نائب عميد كلية التربية – يافع ، للشئون الأكاديمية .

❖ مهتم بالبحث والترجمة ، حيث نشرت له عدد من الدراسات و الموضوعات المترجمة عن الروسية في عدد من الصحف والمجلات المحلية، كما صدر له كتاب (سقطرى هناك حيث بعثت العنقاء) مترجماً عن الروسية ، إصدار جامعة عدن 1999م ، وكتاب (عادات وتقاليد حضرموت الغربية) عن الروسية أيضا ، وصدر عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر 2002م.

❖ صدر له (الشائع من أمثال يافع) الطبعة الأولى، عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر 2002م.

❖ صدر له كتاب " شل العجب .. شل الدَّان" دراسة عن يحيى عمر اليافعي وأشعاره، الطبعة الأولى، مركز عبادي ، صنعاء 2005م.

❖ يعكف على تقديم عدة أعمال من الموروث الشعبي اليافعي وأشهر الشعراء الشعبيين في يافع ، وصدر له في هذا الاتجاه ، ديوان (محاصيل القدر) للشاعر الشعبي يحيى محمد علوي الفردي ، و(مساجلات الصنبحي والخالدي) وديوان صالح سند«خير من نشد»

